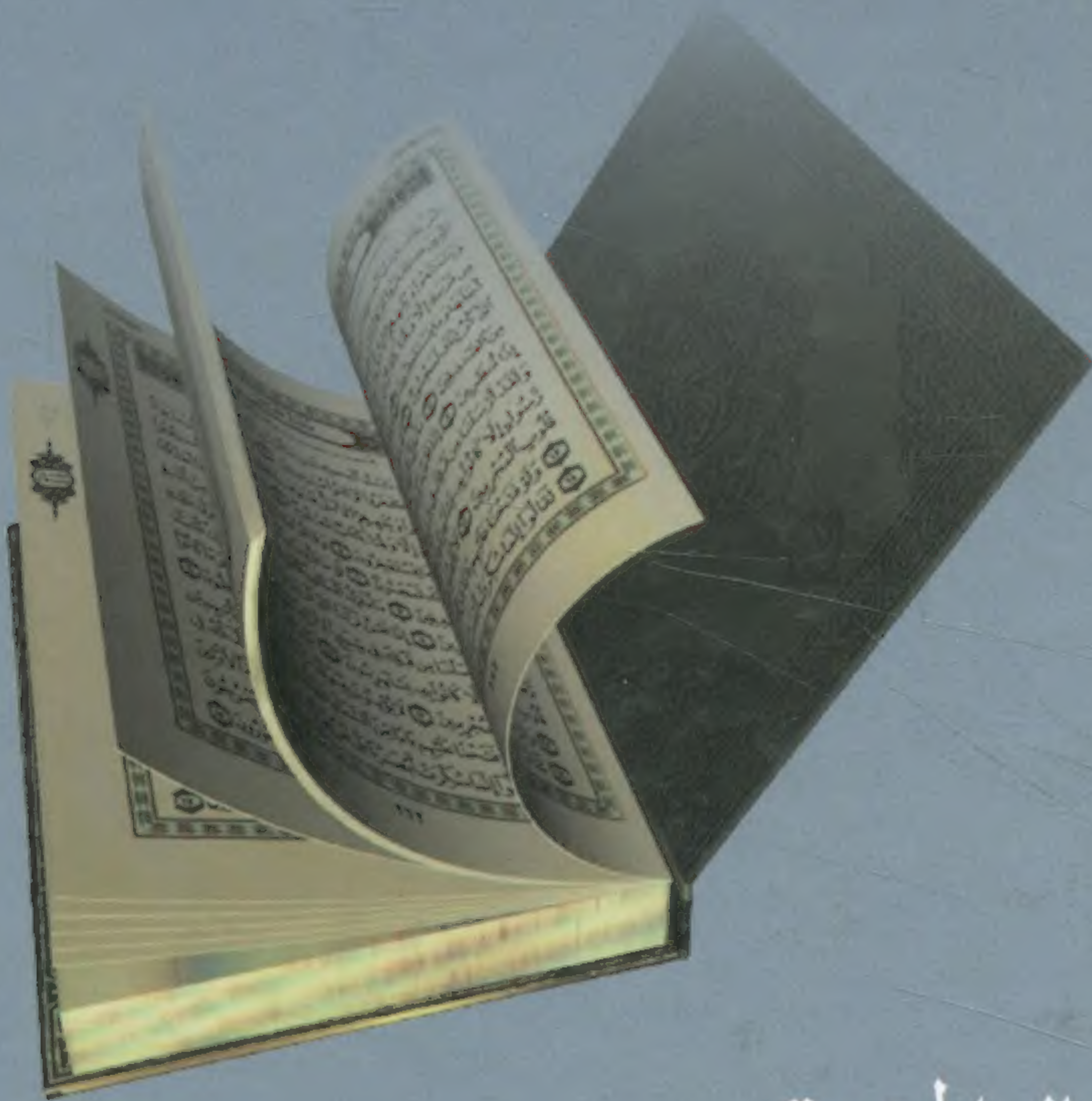


نفحات في إعجاز القرآن الكريم البيان



خميس كمال الجزيرة
محمد وليد حرزالله





نفحات في

إعجاز القرآن الكريم البياني

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية (1583 / 6 /)

225.3

حرر الله، خميس

نضجات في إعجاز القرآن الكريم البياني / خمس الجزيرة، محمد وليد

حرر الله . - عمان، دار غيدا،

() ص

ر.ا. (1583 / 6 /) .

الواصفات، الثقافة الإسلامية // الإسلام // المجتمع الإسلامي /

تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

Copyright ©
All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة للناشر

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو تخزين مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي وجه أو بأي طريقة إلكترونية كانت أو ميكانيكية أو بالتصوير أو بالتسجيل و بخلاف ذلك إلا بموافقة الناشر على هذا كتابة مقدماً.



دار فikiran للنشر والتوزيع

وسط البلد - شارع الملك حسين - مجمع التحرير التجاري - الطابق الأرضي

للتأجير: 962 6 461 5510 - ص. ب. 520546 عمان 11152 الأردن

Email: info@darfikiraa.com www.darfikiraa.com

نفحات في إعجاز القرآن الكريم البياني

تأليف

**خميس كمال الجزيرة
محمد وليد حرز الله**

تقديم ومراجعة

**أ. سامي محمد هشام حريز
ماجستير التفسير وعلوم القرآن
-الجامعة الأردنية-**

**الطبعة الأولى
2011م - 1431هـ**

الإهداء

إلى والديّ العزيزين الخاليتين اللذين قدما إليّ المساعدة
المعنوية والفعلية المناسبة في إعداد كتابي هذا
أهدي هذا الكتاب..

”خميس”

إلى من ساعدني وجثني على العلم.. وكأني كالنبراس يضيء
دربي..

إلى من علمني كيف يكون الجِدّ والعمل والإصرار..

إلى من أعطانني الثقة بنفسيّ وعملي..

إلى من شملني أنا وغيري بحطفه فكأن الصديق
والأخ المعطاء..

إلى من علمنا كيف يكون العمل بكلّ حبّ وصدق..

إليك أهدي عملي المتواضع هذا علّه يكون رداً صغيراً على
هذا العطاء..

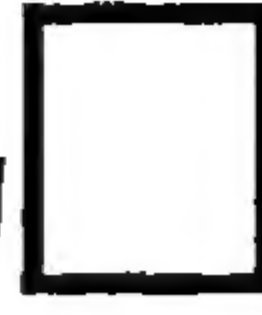
إلى أستاذي: سامي حريز.

أثابك الله عما فعلت وأدامك نوراً في دروب طلاب العلم .

إليك جهدي هذا عساه أن ينال إعجابك..

”محمد وليد”

المحتويات



الصفحة	الموضوع
4	الإهداء...
9	تقديم الكتاب..
13	مقدمة الكتاب..
19	الفصل الأول: القرآن الكريم وتنزيله وإعجازه:
21	المبحث الأول: القرآن الكريم وتنزيله.
25	المبحث الثاني: القرآن الكريم وإعجازه.
27	الوجه الأول/ الإعجاز العلمي.
29	الوجه الثاني/ الإعجاز الغيبي.
30	الوجه الثالث/ الإعجاز التشريعي.
33	الوجه الرابع/ الإعجاز البياني.
41	الفصل الثاني: قبسات من الإعجاز البياني في القرآن:
43	المبحث الأول: بيان الفروق بين الألفاظ المتقاربة:
43	المطلب الأول/ الفرق بين أوتوا الكتاب وآتيناهم الكتاب.
44	المطلب الثاني/ الفرق بين النعمة والنعيم.
44	المطلب الثالث/ الفرق بين حلف وأقسم.
45	المطلب الرابع/ الفرق بين الخشية والخوف.
45	المطلب الخامس/ الفرق بين زوج وامرأة.
46	المطلب السادس/ الفرق بين الرؤيا والحلم.
47	المطلب السابع/ الفرق بين الإنس والإنسان.
49	المبحث الثاني: لطائف قرآنية:
49	المطلب الأول/ حكمة تنكير (أحد) وتعريف (الصمد).

49	المطلب الثاني/ الفرق بين (سلام) على يحيى و(السلام) على عيسى عليهما السلام.
50	المطلب الثالث/ تقديم القتل على الموت وعكسه في نفس الموضع.
51	المطلب الرابع/ لطيفة قرآنية في التقديم والتأخير.
52	المطلب الخامس/ لطيفة قرآنية في كلمة (الحرث).
52	المطلب السادس/ دلالة تكرار الاسم في نفس الموضع.
55	المبحث الثالث: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني:
55	المطلب الأول/ الإبدال.
57	المطلب الثاني/ الذكر والحذف.
59	الفصل الثالث: الرد على فرية الحشو:
69	الفصل الرابع: الرد على قضية الزوائد:
71	المبحث الأول: الرد على قضية زيادة الحرف (إلى).
71	المبحث الثاني: الرد على قضية زيادة حرف (الباء).
79	المبحث الثالث: الرد على قضية زيادة حرف (اللام).
81	المبحث الرابع: الرد على قضية زيادة الحرف (من).
85	المبحث الخامس: الرد على قضية زيادة الحرف (عن).
87	المبحث السادس: الرد على قضية زيادة الحرف (في).
91	المبحث السابع: الرد على قضية زيادة حرف (الواو).
93	الفصل الخامس: من علماء الإعجاز:
95	المبحث الأول: الإمام الباقلاني.
97	المبحث الثاني: القاضي عبد الجبار الهمداني.
99	المبحث الثالث: الإمام عبد القاهر الجرجاني.
101	المبحث الرابع: الإمام محمد بن عمر الزمخشري.

107	الفصل السادس: المحدثون والإعجاز:
109	المبحث الأول: إعجاز القرآن للرافعي.
117	المبحث الثاني: الإعجاز القرآني عند سيد قطب.
121	المبحث الثالث: الإعجاز البياني في القرآن لبنت الشاطي.
125	المبحث الرابع: الشيخ محمد متولي الشعراوي.
129	الفصل السابع: قصص إسلام رجال تأثروا بالقرآن:
131	المطلب الأول/ قصة إسلام المغني الإنجليزي السابق يوسف إسلام.
135	المطلب الثاني: قصة إسلام العالم الفرنسي موريس بوكاي.
140	المطلب الثالث/ قصة إسلام أستاذ الفيزياء عضو الأكاديمية الطبية الروسية.
142	المطلب الرابع/ قصة إسلام كيث مور عالم الأجنة الشهير.
143	المطلب الخامس/ قصة إسلام البرفيسور ناجاتات تاجمون.
146	المطلب السادس/ قصة إسلام الدكتور الفرنسي علي سلمان بنوا.
148	المطلب السابع/ قصة إسلام أستاذ القانون اليهودي بسبب علم المواريث.
148	خاتمة مهمة
149	الفصل الثامن: دراسة تحليلية لتفسير سورة الإخلاص:
151	مقدمة.
152	مدخل تمهيدي.
153	المبحث الأول: بين يدي السورة الكريمة.
153	اسمها وعدد آياتها وترتيبها.
155	المبحث الثاني: سبب النزول ومناسبتها مما قبلها وبعدها:
155	المطلب الأول/ سبب النزول.

155	المطلب الثاني/ مناسبة السورة مع ما قبلها وما بعدها.
157	المبحث الثالث: تفسيرها:
157	المطلب الأول/ الآية الأولى.
157	المطلب الثاني/ الآية الثانية.
158	المطلب الثالث/ الآية الثالثة.
159	المطلب الرابع/ الآية الرابعة.
161	المبحث الرابع: أحاديث عن السورة الكريمة.
165	المبحث الخامس: سر الإعجاز في السورة:
165	المطلب الأول/ من حيث الألفاظ والمعاني ودلائل الإعجاز القرآني.
166	المطلب الثاني/ البلاغة.
168	المطلب الثالث/ من حيث أثرها في واقعنا المعاصر.
169	الفصل التاسع: ملحق للكتاب كنهاية للمطاف:
171	* وقفات فنية وبيانية مع سورة العصر.
176	* وقفة لغوية مع معنى الكوثر.
179	الخاتمة..
182	خاتمة الدراسة التحليلية..
183	قائمة المراجع..

تقديم:

الحمد لله الذي شرف وكرم هذه الأمة بإنزال كتابه المبين عليها، هدى ونوراً
ورحمة للبشر أجمعين..

والصلاة والسلام على أفصح الناس منطقاً، وأشرفهم لساناً، وأثبتهم جناناً،
سيدنا وحبيبنا وقائدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم
بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً مزيداً..

أما بعد:

فجميعنا يعلم بأن القرآن الكريم هو معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم
الخالدة، وأنه كتاب الهداية والنور للبشر أجمعين، فهو بذلك كثر المعارف ونور
العقول.. ولكل سورة منه روحها الجاذب ووقعها المؤثر، مما يجذب العقل..
ويستولي على القلب ويأسر المشاعر.. ولذلك فعلى الدعاة أن يستمدوا من نبعه
الهدايات ويقتبسوا من نوره مشاعل الحضارات.

ومهما قرأنا وكتبنا عن إعجاز القرآن فسوف يظل في النفس إحساس ينطلق
بسر لم تكشف عنه كل هذه القراءات والكتابات..

وإن السر في إعجاز القرآن: هو في عجزنا أن ندرك ذلك السر.

فسبحان منزل القرآن !! ولذلك فإن موضوع (إعجاز القرآن) هو من أعظم
الموضوعات القرآنية التي سطرها العلماء وطلبة العلم.

وكم هي جميلة تلك الحياة التي يحياها المسلم في ظلال كتاب الله تعالى متدبراً
ومتأملاً ومستشقاً لأحكامه ومعالمه وبيانه وبلاغته..

وها هي الدراسة التي بين أيدينا والمعنونة بـ (نفحات من إعجاز القرآن الكريم البياني) تطل علينا حاملة في طياتها أريجاً معطراً وفواحاً من كتابٍ عظيمٍ لخالق عظيم. إنه القرآن الكريم المنزل من عند الله تعالى (الذي أعجز البشر قاطبة)، وعجائبه لا تنتهي ولا تنقضي..

ويتصدى لهذه الدراسة شابان من طلبة العلم، تجمعني بهما الأخوة والمحبة في الله، وأحسبهما من الصالحين، ولا أزكي على الله أحداً.

الأول منهما: الأخ "خيس كمال الجزرة"، الذي تناول القسم الكبير من هذه الدراسة، وهو الجانب النظري بتقسيماته وفروعه المتعددة..

والثاني: الأخ "محمد وليد حرز الله"، الذي تناول تفسيراً موجزاً لسورة الإخلاص، كنموذج تطبيقي للإعجاز البياني البلاغي..

وقد قمت أنا بدوري الشخصي بتعزيز الكتاب بتسجيل وقفيتين تطبيقيتين للإعجاز القرآن البياني: الأولى: مع سورة العصر. والثانية: مع معنى الكوثر - من معين إعجاز القرآن البياني -.. وقد نشرتهما مسبقاً في صفحات مجلة البيان الإسلامية.

وأيضاً أود التنويه: بأنه كان لي تجربة في تأليف كتاب عن الإعجاز البياني، وهو نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم - نظرياً وتطبيقياً -، وقد لاق رواجاً - لا بأس به - والحمد لله، وقد تناولت فيه الإعجاز البياني نظرياً مبيناً موقعه بدقة من بين وجوه الإعجاز القرآني إجمالاً، وقمت فيه بدراسة بيانية تطبيقية لثلاثة نماذج بناءً على ما سجلته من معلومات نظرية، محلاً وناقداً على أصول البحث العلمي.

هذه التجربة، إضافة إلى أنني من أصحاب التخصص، جعلتني أقوم بتقديم هذا الكتاب الرائع فيما يطرحه من موضوعات شيقة تتميز بالاختصار وتنوع المعلومات، أضف إلى ذلك، سهولة عباراته وسرعة فهمها ليتناسب مع مستويات قارئيه.

والآن أدعو القارئ الكريم أن يعيش في أجواء هذا الكتاب المبارك.. وأسأل الله تعالى أن ينفع به ويكون سبباً للهداية، وأن يجزي مؤلفيه خير الجزاء على ما قدّماه وأن يزيدهما علماً.. وأن يكونا من أهل العلم والعمل..

وأخيراً دعوانا إلى الحمد لله رب العالمين

بقلم

سامي حريز

مقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه..

أما بعد:-

فإن القرآن الكريم هو الآية الأولى للرسول صلى الله عليه وسلم، وهو معجزته الكبرى التي قدّمها للناس، واعتبره دليلاً على نبوته ورسالته للعالمين، وإن القرآن هو وحي الله إليه، فهو كلام الله سبحانه، وليس من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم.

وإن القرآن قد تحدّى الكافرين، وطالبهم أن يقدموا من بيانهم وكلامهم مثله. أو مثل سورة منه، أو مثل عشر سورٍ منه. ولكنهم لم يقدرُوا على ذلك وبذلك عجزوا عن معارضته، ووقفوا عاجزين أمامه، وبذلك كان القرآن معجزاً لهم، وهذا هو معنى إعجاز القرآن.

فإعجاز القرآن حقيقة قاطعة، وبديهية مقررة، أقر بها المسلمون والكافرون، المسلمون بتدبرهم للقرآن، وتذوقهم له، وإيمانهم به، والكافرون بإقرارهم بعجزهم عن معارضته، واعترافهم بإعجازه لهم.

إن إعجاز القرآن وسيلة إلى هدف عظيم وغاية سامية، وليس هدفاً مجرداً ذاته أو غاية يُراد تحقيقها. إن الهدف من دراسة الإعجاز هو إثبات مصدر القرآن الرباني، وأنه كلام الله سبحانه، وليس كلام محمد صلى الله عليه وسلم، والإقرار برسالة ونبوة محمد عليه الصلاة والسلام، وأن الله بعثه رسولاً ونبيّاً ورحمة للعالمين.

وهو دليل واضح بارز من أدلة كثيرة، على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.
وعلى أن القرآن هو كلام الله سبحانه، وليس الإعجاز هو الدليل الوحيد على هذه القضية العظمى.

ويجب إقامة الدليل على إعجاز القرآن، وإثبات ذلك بالأدلة، والشواهد، فإذا ثبت إعجازه - وهو ثابت - ثبت الدعوى، وهي أن القرآن هو كلام الله سبحانه.
إن المعادلة يجب أن تكون هكذا: القرآن معجز، فهو كلام الله، وكم أخطأ الذين عكسوا المعادلة، وقالوا: القرآن معجز، لأنه كلام الله.

إن علوم القرآن هي أشرف العلوم وأعلاها، وهي غايتها ومنتهاها والمتعمق فيها حاصل على أجلى الغايات وأوفاهها، ولذلك فحريّ بطالب العلم أن يشغل أوقاته بما يعود عليه من الأجر والثوبة من الله تعالى أولاً، والفائدة العلمية ثانياً، بالتفكير والتدبر في آيات كتاب الله تعالى عز وجل ولما كان القرآن الكريم هو كنز المعارف ونور العقول لذلك أردت التحدث عن إيجاز علومه ولما كان الإيجاز البياني أعظم وجوه إعجاز القرآن الكريم وأهمّها، لأنه يتنظم القرآن الكريم كله بل هو أتمّها، لأنه عام في القرآن كله لا تخلو منه سورة على قصرها . أردت التحدث بالتحديد عن الإعجاز البياني في هذا الكتاب.

والأسباب التي دعيت لاختيار هذا الموضوع بالذات، ما يلي:-

(1) أهمية هذا الموضوع، حيث أنه يتعلق بالأصل الأول من أصول الشريعة الإسلامية وهو القرآن الكريم ويبين أهم أنواع إعجازه وهو الإعجاز البياني.

(2) بسبب أن الإعجاز البياني هو أبرز وأظهر وأشهر وجوه الإعجاز .

(3) حيي الكبير للقرآن الكريم الذي هو معجزة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

4) بسبب أن هذا الموضوع من علوم القرآن و بدراستها يكون الأجر الكبير من الله تعالى.

وحسب إطلاعي المتواضع، فإن هناك دراسات عديدة حول الإعجاز البياني في القرآن الكريم منها:-

- 1) البيان في إعجاز القرآن للدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي.
 - 2) الإعجاز البياني في القرآن لعائشة عبد الرحمن - بنت الشاطيء-.
 - 3) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني للدكتور فاضل السامرائي.
 - 4) التصوير الفني في القرآن للشهيد الأستاذ سيد قطب.
 - 5) خطوات التعبير البياني للقرآن لمحمد رجب بيومي.
- وغيرها الكثير من الكتب التي تتحدث عن الإعجاز في القرآن الكريم دون تحديد نوع أو وجه محدد من وجوه الإعجاز، ومن هذه الكتب:-

- 1) إعجاز القرآن الكريم للأستاذ الدكتور / فضل عباس وابنته سناء عباس.
- 2) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني.
- 3) إعجاز القرآن للإمام الباقلاني.

وهناك دراسة معاصرة بعنوان: (نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم - نظرياً وتطبيقياً-) لأستاذي الفاضل (سامي محمد هشام حريز) والذي تشرفت بتقديمه ومراجعته لهذا الكتاب. وهي دراسة مميّزة حقاً، جمع فيها صاحبها الجانب النظري مع الجانب التطبيقي بمنهجية علمية سديدة.

أما كتابي هذا فإنه يتميز بسهولة عباراته واستخدام الألفاظ المفهومة والقريبة من القارئ، بالإضافة إلى تنوع المواضيع التي يمكن أن يستفيد منها كل من يبحث في هذا المجال، فالذي يقرأ هذا الكتاب يصبح ذا معرفة لا بأس بها عن الإعجاز

البياني، فإني حاولت أن أجمع كل الأمور التي يستفيد منها طالب العلم الشرعي وطالب علوم القرآن بالتحديد .

ومن المواضيع التي قلّ التحدث عنها في الكتب ذات الصلة، هو موضوع تأثير الناس بالقرآن و إعجازه و فصاحته، فإني هنا عرضت قصص إسلام لكثير من العلماء والشخصيات الذين أعلنوا إسلامهم بعدما تعرفوا على إعجاز هذا القرآن العظيم.

ومن الأمور التي أخذتها بعين الاعتبار هو تفصيل مقدمة وفهرسة هذا الكتاب لكي يواكب طبيعة القراء الذين يهتمون بمواضيع محددة فبينت جميع المواضيع وميزات بعضها في المقدمة أو في الفهرس.

ومواضيع الفصل الأول: القرآن الكريم وتنزيله وإعجازه:
ويندرج تحته مبحثين .

الفصل الثاني: قبسات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم:
ويندرج تحته ثلاثة مباحث وللمبحث الثالث مطلبين.

الفصل الثالث: الرد على فرية الحشو:
يندرج تحته مبحث واحد.

الفصل الرابع: الرد على قضية الزوائد.
ويندرج تحتها سبعة مباحث وبعض المباحث لها عدة مطالب.

الفصل الخامس: من علماء الإعجاز البياني.
ويندرج تحته أربعة مباحث ولكل مبحث عدة مطالب.

الفصل السادس: المحدثون والإعجاز البياني:
ويندرج تحته أربعة مباحث ولكل مبحث عدة مطالب.

الفصل السابع: قصص إسلام رجال تأثروا بالقرآن.

ويندرج تحته ثمانية مطالب.

وأتبع ذلك تسجيلاً للخاتمة: التي أئين فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا الكتاب.

وسيتيم- بإذن الله تعالى- عزو جميع ما يكتب إلى مصدره الأصلي، وإذا فاتني من هذا- وأرجوا أن لا يكون- فإنه من السهو الذي نرجو من الله تعالى أن يغفره.

وقد قمت بجمع المعلومات ونقلها أو تلخيص بعضها بموضوعية وإيجاز بالغين وأيضاً الرجوع إلى العديد من المراجع المهمة والثرية بالمعلومات والتي سوف أذكرها في قائمة المصادر والمراجع إن شاء الله.

أسأل الله تعالى أن يكون هذا العمل خالصاً لله تعالى ثقت الذي لا إله إلا هو الخالق العليم الخبير أخي القيوم، بعيداً عن أي أمرٍ نهى عنه سبحانه.

قال تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء﴾⁽¹⁾ فأرجوا الله تعالى أن يتقبله مني ويكون في ميزان أعمالي ودخولي الجنة إن شاء الله تعالى.

والله من وراء القصد.

وصلوات الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

خميس كمال الجزيرة

(1) سورة البينة: [5] .

الفصل الأول

القرآن الكريم وتنزيله وإعجازه..

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: القرآن الكريم وتنزيله.

المبحث الثاني: القرآن الكريم وإعجازه.

المبحث الأول: القرآن الكريم وتنزيله

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة ملك الوحي جبريل عليه السلام، وقد تناقل المسلمون القرآن الكريم جيلاً بعد جيل حتى وصل إلينا كما أنزله الله تعالى سالماً من أي تحريف أو تغيير.

أهداف القرآن الكريم:

القرآن الكريم: هو كلام الله تعالى المعجز المتعبد بتلاوته، المنزل على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم باللغة العربية المنقول عنه نقلاً متواتراً. المبدوء بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس.

ومعنى أن القرآن الكريم معجز أنه لا يستطيع أي مخلوق أن يأتي بمثله، والمتعبد بتلاوته: أي أن المسلم يتقرب إلى الله تعالى بتلاوة آياته ولا تصح الصلاة إلا بقراءة ما تيسر منه، ومعنى أنه منقول نقلاً متواتراً، أي أن جماعاً من الناس الثقات الذين لا يمكن اجتماعهم على الكذب، نقلوا القرآن الكريم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نقله عنهم جمع كبير مثلهم، حتى وصل إلينا.

مقاصد القرآن الكريم:

أنزل الله القرآن الكريم؛ لهداية الناس جميعاً إلى الإسلام، وتخليصهم من الشرك وعبادة غير الله تعالى وإسعادهم في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: **الرَّحْمَنُ أَنزَلَ إِلَيْنَا الْكِتَابَ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُنذَرِينَ** [سورة إبراهيم: 1] **وَمِن مَّقَاصِدِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مَا يَأْتِي:-**

(1) تعريف الناس بخالقهم، وبيان حق الله تعالى على عباده، بأن يعبدوه وحده ولا يشركوا به شيئاً، ويؤمنوا بأركان العقيدة الإسلامية جميعها.

(2) إرشاد الناس إلى الخير والصالح وتحذيرهم من الشر ومن عصيان الله تعالى ومخالفة أمره.

(3) بيان الأحكام الشرعية التي تنظم حياة الناس وتحقق مصالحهم، وتبين ما لهم من الحقوق، وما عليهم من الواجبات العامة والخاصة، في مجال الأخلاق والمعاملات والعبادات.

وفي ضوء التزام الناس بهذه المقاصد يتقرر مصيرهم في الدنيا والآخرة. قال تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [سورة الإسراء: 9] ﴿

نزول القرآن الكريم:-

بدأ نزول القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، في ليلة السابع والعشرون من شهر رمضان المبارك، واستمر نزوله مفرقاً حسب الحوادث والوقائع وحاجات الناس مدة ثلاث وعشرين سنة، فلم ينزل كله على النبي صلى الله عليه وسلم دفعة واحدة وكانت أول الآيات نزولاً تلك التي نزل بها جبريل عليه السلام، في غار حراء، في أول لقاء مع الرسول صلى الله عليه وسلم. أما آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: 281].

حكمة نزول القرآن الكريم مفرقاً وليس دفعة واحدة: اعترض المشركون على نزول القرآن مفرقاً، وطلبوا أن ينزل دفعة واحدة، وقد ردّ الله على اعتراضهم وبين

الحكمة من ذلك فقال سبحانه ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً
وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان: 32]

فقد بينت هذه الآية الكريمة وغيرها حكمة نزول القرآن الكريم مفردا
ومنها:

(1) التدرج في تربية الناشئ وانتزاع عقائد الشرك ومفاسده من النفوس بما يتناسب
مع وقوع الحوادث و تجدد الحاجات.

(2) تمكين النبي صلى الله عليه وسلم من قراءة القرآن الكريم على الناس على
فترات، فيسهل عليهم فهمه وحفظه، وتدوينه. قال الله تعالى: ﴿ وَقُرْآنًا
فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْتٍ وَنُزِّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾ [الإسراء: 106]

(3) تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم وتطمين قلبه، وباستمرار نزول الوحي
عليه بالقرآن الكريم ليستمر في دعوته ويطمئن إلى عون الله تعالى ونصره.

المبحث الثاني: القرآن الكريم وإعجازه

إن معنى إعجاز القرآن الكريم عجز الناس على أن يأتوا بمثله، فكلمة إعجاز مصدر وإضافتها إلى القرآن من إضافة المصدر لفاعله فكان التقدير أعجز القرآن الناس أن يأتوا بمثله أو معنى ذلك أن هذا القرآن الكريم دلّ بما فيه من بيان على أنه من عند الله، وثبت عجز الناس عن أن يأتوا بمثله.

متى ظهرت كلمة إعجاز؟

من المفيد أن ننبّه هنا على أن هذا المصطلح لم يكن معروفاً في عهد النبوة والصحابة والتابعين إنما عُرِفَ فيما بعد، دليل ذلك كتاب الله تبارك وتعالى، فالكلمة التي كانت تقوم مقام المعجزة هي الآية. وهذا ما ورد كثيراً في كتاب الله تبارك وتعالى، قال تعالى ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ﴾ ﴿ وَأَتَيْنَا مُوسَىٰ الْنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ﴾ ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ ﴿ [الإسراء: 59].

وقال تعالى ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنْ فِي ذَالِكَ لَرَحْمَةٌ وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿ [العنكبوت: 50-51]

فالآية والآيات هي التي عبّر عنها بالمعجزات فيما بعد، ولكن متى ظهر هذا المصطلح؟ يغلب أن مصطلح الإعجاز والمعجزة لم يظهر قبل القرن الثاني الهجري، ولقد نشأ في بيئة المتكلمين الذين كانوا يدافعون عن القرآن الكريم، ويردون أباطيل الملاحدة والزنادقة وأهل الزيغ والأهواء، وهو مصطلح له ما يؤيده من اللغة.

وجوه الإعجاز في القرآن الكريم:-

وإذ كان المسلمون والمنصفون من غيرهم مجمعين على أن القرآن الكريم كتاب معجز، وهو المعجزة العظمى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم- أقول إذا كان هؤلاء وأولئك متفقين على هذا أو متفقين على أن بيان القرآن وبلاغته ونظمه من أعظم ومن أهم وجوه إعجازه فلقد اختلفوا فيما وراء ذلك..

رأى بعضهم أن القرآن معجز ببيانه فحسب وذهب أكثر العلماء إلى أن وجوه الإعجاز كثيرة ومتعددة فهناك الإعجاز البياني، وهناك الإعجاز التشريعي والخلقي والعلمي وغيرها من الوجوه. والقائلون بتعدد هذه الوجوه مجمعون على أن الإعجاز البياني هو أعظم هذه الوجوه وأهمها وأعمها، ذلك لأنه لا تخلو منه آية من كتاب الله تعالى أما الوجوه الأخرى فليست كذلك، فهي مفرقة فيه.

ويقينا أن القرآن الكريم معجز بكل ما تتسع له كلمة الإعجاز وبكل ما يشتمل عليه القرآن الكريم من مجالات متعددة، ولكننا مع ذلك نرى أنه لا بد من تحديد أوجه الإعجاز الحرة بأنه سيتحدث عنها المتحدثون، وحيث أسهب بعض الكاتبيين، وهم يتحدثون عن هذه الوجوه فأوصلها بعضها إلى نيف⁽¹⁾ وثلاثين وجهاً ولكن عند التحقيق نجد أنه أكثرها لا يستحق أن يذكر وجهاً خاصاً على حدة أو من الوجوه التي ذكروها:-

(1) الإعجاز بالنظم.

(2) الإعجاز بالأسلوب.

(3) الإعجاز بعدم التناقض.

(4) أخبار الماضي.

(1) معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي

- (5) أخبار المستقبل.
- (6) الإعجاز التاريخي.
- (7) الإعجاز الأخلاقي.
- (8) الإعجاز النفسي.
- (9) الإعجاز الروحي.
- (10) الإعجاز التشريعي.
- (11) الإعجاز العلمي.
- (12) الإعجاز العددي.
- (13) الإعجاز التربوي.

إلى غير ذلك مما عايناه، لكننا بعد روي وإجالة فكر، نجد أن كثيراً من هذه الأوجه يندرج مع غيره، فالإعجاز الخلفي والتربوي يمكن أن يندرج في الإعجاز التشريعي، كذلك الإعجاز النفسي والروحي، والأسلوب والنظم نستطيع أن نجعله كله في باب واحد وهو الإعجاز البياني.

أما الأوجه التي أريد تفصيلها:

الوجه الأول:

الإعجاز العلمي:-

هو أبرز وجوه الإعجاز في هذا العصر، فلقد وقع العلماء المسلمون المعاصرون على آيات كثيرة ذات مضامين علمية، وفسروا هذه الآيات تفسيراً علمياً، وقدموها للمثقفين المسلمين فزادت ثقتهم بالإسلام والقرآن، وقدموها للمثقفين العلمانيين فقربتهم إلى عالم القرآن والالتزام وقدموها إلى العلماء الغربيين، فدهشوا لما فيها من صدق علمي يتفق مع أحدث الحقائق العلمية المعاصرة

فأحسنوا الظن بالإسلام وقالوا بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم وقادت بعضهم إلى عالم الإسلام والإيمان، فأسلم وصار من المسلمين، مثل الدكتور موريس بوكاي الذي سوف نتحدث عن قصة إسلامه فيما بعد إن شاء الله.

من العلماء الذين اهتموا بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم:

طنطاوي جوهري، ومحمد أحمد الغمراوي، ود. محمد جمال الدين الفندي، عبد الرزاق نوفل والشيخ عبد المجيد الزنداني، والشيخ محمد متولي الشعراوي.
من الأمثلة على هذا الإعجاز:-

(أ) قال الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ثُمَّ ۖ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْلًا فَكَسَوْنَا الْعِظْلَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا ۖ آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۝ ﴾ [المؤمنون 12-14]

كان الاعتقاد عند العلماء أن الإنسان يخلق كُله دفعة واحدة في رحم أمه ثم يبدأ ينمو شيئاً فشيئاً، وبعد التقدم العلمي اكتشف علماء الأجنة أن الإنسان إنما يخلق نطفة أولاً ثم يصير علقة ثم مضغة، ثم تبدأ الأصول الأولى للعظام في التكوين، ثم تتكون بعدها الأصول الأولى للعضلات اللحمية التي تكسو العظام، وهذا ما نطق به القرآن الكريم على لسان النبي الأمي محمد صلى الله عليه وسلم فتبارك الله أحسن الخالقين.

(ب) قال الله تعالى ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ⁽¹⁾ ﴾ وقال الله تعالى ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تَبَتِ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا

(1) سورة الذاريات: [49].

لا يبصرون⁽¹⁾ ﴿ يبين الله تعالى لنا في هاتين الآيتين أن نظام الزوجية يعم جميع المخلوقات من أصغر شيء إلى أكبر المجرات، فنظام الزوجية الذي نشاهده في عالم الإنسان والحيوان، موجود في عالم النبات بل وفي سائر المخلوقات، ولقد كَشَفَ العلم الحديث وجود هذا النظام فتبارك الله أحسن الخالقين، ومن أمثلة ذلك الذكر والأنثى في الإنسان والحيوان والنبات والسالب والموجب في تكوين الذرة، وغير ذلك.

الوجه الثاني:

الإعجاز الغيبي:

هو أنباء الغيب وأخباره التي أوردها القرآن، حيث اشتمل القرآن على كثير من أنباء الغيب فيه، وإدراك هذا الوجه من وجوه الإعجاز لا يحتاج إلى ذوق بياني وثقافة أدبية لغوية، إنما يحتاج إلى ثقافة علمية إخبارية تاريخية، وهذه يمكن أن تتوفر لدى العربي وغير العربي.

وأنباء الغيب في القرآن تدل على مصدره، وأنه من عند الله لا من تأليف محمد صلى الله عليه وسلم لأنه لا سبيل له ولا لقومه بتلك الأخبار ولا بمعرفتها وتحصيلها.

(1) ألوان الإعجاز الغيبي:-

اللون الأول: غيب الماضي: ويقصد به أنباء القرآن عن أخبار الماضي وقصص السابقين، وما أورده من معلومات وروايات وتفصيلات تتعلق بهم، ومقارنة هذه الأنباء القرآنية بأخبار التاريخ والاكتشافات الأثرية وبعضهم يسمي هذا اللون من ألوان الإعجاز الغيبي (الإعجاز التاريخي).

(1) سورة يس: [36].

اللون الثاني: غيب الحاضر: ويقصد به أنباء القرآن عن الموجودات الحاضرة والتي لا يراها الإنسان، وبيان تفصيلات حياتها، مثل الملائكة والجن والشياطين، ويشمل أيضاً تعريف الناس على صفات الله سبحانه، كما يشمل كشف القرآن لمؤامرات ومكائد الكافرين والمنافقين قبل تنفيذهم لها.

اللون الثالث: غيب المستقبل: ويقصد به الآيات القرآنية التي تخبر عن أشياء وأحداث ستحدث في المستقبل، وتحقيق مدلول تلك الآيات فيما بعد، ووقوع تلك الأحداث فعلاً كما أخبرت الآيات.

وبعضهم يسمي هذا اللون من ألوان الإعجاز الغيبي (الإعجاز في الأخبار المستقبلية).

(2) ومن الأمثلة على الإعجاز الغيبي:

قال تعالى: ﴿ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾ [آمر يقولون نحن جميع منتصر] ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ [القمر: 43-45] وتدل هذه الآية على أخبار القرآن في مكة عن انتصار المسلمين وهزيمة المشركين وهذه تدل على اللون الثالث من ألوان الإعجاز الغيبي.

الوجه الثالث:-

الإعجاز التشريعي:-

المقصود بالإعجاز التشريعي تشريعات القرآن ونظمه ومناهجه، والمبادئ التي قررها أو القيم التي دعا إليها والأسس التي أرساها، والهداية التي هدف إليها.

لقد تضمن القرآن الكريم تشريعات ومناهج ومبادئ ونظماً، شملت كافة مجالات الحياة سواء حياة الفرد أو حياة المجتمع، وسواء الجانب العقدي أو العبادي أو الأخلاقي أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي أو الدولي أو الدستوري أو

العسكري أو غير ذلك ولدى المقارنة بين ما أقره القرآن من المبادئ والتشريعات في تلك المجالات والجوانب المختلفة، وبين ما أقرته البشرية في تاريخها الطويل وما اهتمت إليه عقول عباقرتها ومفكرها وعلمائها، يظهر الفرق البعيد بين تشريعات القرآن وتشريعات البشر، ومن ذلك تتعرف على الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم.

وحول هذا المعنى يقول سيد قطب رحمه الله: الذين يدرسون النظم الاجتماعية، أو الأصول التشريعية ويدرسون النظام الذي جاء به هذا القرآن، يدركون ان النظرة فيه إلى تنظيم الجماعة الإنسانية ومقتضيات حياتها من جميع جوانبها، والفرص المدخرة فيه لمواجهة الأطوار والتقلبات في يسر ومرونة.. كل أولئك أكبر من أن يحيط به عقل بشري واحد، أو مجموعة العقول في جيل واحد أو في جميع الأشياء⁽¹⁾.

ومن الأمثلة على الإعجاز التشريعي:-

1. الوضوء والتيمم والغسل.

2. تشريع الصيام.

3. تحريم الميتة والدم والخنزير.

4. تحريم الربا.

5. التشريع الإسلامي حول الدين.

(1). الوضوء والتيمم والغسل:-

أمر الله المسلمين بالوضوء عند القيام إلى الصلاة، وجعل الوضوء شرطاً للصلاة فإذا لم يتمكنوا من استعمال الماء فعليهم التيمم، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا

(1) الظلال 3 صفحة 178.

الَّذِينَ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ
وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ
مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ
تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ
اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ [سورة المائدة: 6]

وتشير الآية إلى الحكمة من هذا التشريع العبادي:

﴿ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج، ولكن يريد ليطهركم.. ﴾

اشتراط الوضوء أو التيمم، واشتراط الاغتسال للجنب، لأن الله يريد أن
يطهرنا، وأن يتم نعمته علينا، وحتى نشكره سبحانه على نعمه الكثيرة، أي أننا
نترضاً أو نتيماً أو نغتسل فإنما نشكر الله. وبعض المسلمين يظن أن الحكمة من
تشريع الوضوء هو النظافة أي أن المسلم ينظف أعضاء الوضوء مثل أدائه الصلاة،
ولسنا معهم في ذلك، ليست النظافة هي الحكمة من الوضوء، فلو كانت هي
المقصودة لكان البديل عن الماء عند فقدّه أو العجز عن استعماله محققاً للنظافة أي
لكان التيمم بالتراب بهدف تعقيم وتنظيف أعضاء التيمم!

هل التيمم بالتراب يحقق النظافة؟ هل مسح الوجه واليدين بالتراب أو الغبار
يحقق النظافة؟ فقول سيد قطب عن حكمة الوضوء والتيمم (يبدو أن حكمة
الوضوء أو الغسل ليست هي مجرد نظافة، وإلا فإن البديل من أحدهما أو من
كليهما لا يحقق هذه الحكمة فلا بد إذن من حكمة أخرى للوضوء أو الغسل تكون
متحققة كذلك في التيمم!!

ولا نريد نحن أن نجزم ولكننا نقول فقط أنهما ربما كانت هي الاستعداد النفسي للقاء الله لعمل ما يفصل بين شواغل الحياة اليومية العادية، وبين اللقاء العظيم الكريم.. ومن ثم يقوم التيمم - في هذا الجانب - مكان الغسل أو مكان الوضوء ويبقى وراء هذا علم الله الكامل الشامل اللطيف بدخائل النفس، ومنجاتها ودروبها، التي تعمل ولا يعلمها إلا اللطيف الخبير) وحكمة الاغتسال من الجنابة (وإن كنتم جنباً فاطهروا) إنها ربما كانت حركة عملية عن معنى نفسي، إن الإنسان عندما يقضي شهوته فإنه يحقق حاجة فطرية ونفسية أصيلة في كيانه، ثم أن كل جزء من أعضاء جسمه يتلذذ عند قضاء الشهوة ويشارك في هذه العملية الجنسية، ولهذا فإن الاغتسال لإزالة الجنابة ورفع الحدث. إن الإنسان يغتسل (شكراً لله) الذي يسّر له قضاء شهوته، وتلبية الحاجة النفسية عنده، وهو يغسل كل جزء من جسمه بالماء وكأن كل جزء من جسمه⁽¹⁾ يشارك في شكر الله مشاركة عملية مادية، لأن كل جزء يشارك في الاستمتاع والتلذذ عند قضاء الشهوة، ونعله لأجل هذا المعنى خُتمت آية الوضوء والغسل والتيمم بقوله ﴿وَلَعَنَكُمُ الشَّكْرُونَ﴾ والله أعلم.

الوجه الرابع:

الإعجاز البياني:-

هو الوجه الظاهر البارز الواضح في إعجاز القرآن وإن الإعجاز البياني يوم على البيان والبلاغة والفصاحة.

إن هذا الإعجاز البياني هو الوجه البارز في الإعجاز؛ لأن العرب في العصر الجاهلي كانوا من أرفع وأرقى وأسمى مستولى من البيان والفصاحة والبلاغة،

(1) البيان في إعجاز القرآن للدكتور صلاح الخالدي.

كانوا أقوى شيء في بيانهم وإن المستوى البياني للعرب والمسلمين في العصور الإسلامية اللاحقة كان أقل من مستوى العرب البياني في العصر الجاهلي.

ونظراً لهذا المستوى البياني الرفيع. كان البيان هو الموضوع الذي تحدّى به القرآن العرب لأن التحدي يكون فيما مهر به العرب وتفوقوا به.

إن البيان هو الذي تحدّى به القرآن العرب. وأن المثلية المطلوبة منهم كانت مثلية بيانية حيث طالبهم بالإتيان بسورة مثل القرآن في البيان، أو بعشر سور مثله في البيان أو بحديث مثله في البيان، ولم تكن المثلية المطلوبة منهم مثلية في العلم، ولا في التشريع ولا في أنباء الغيب ولا في غير ذلك من معاني القرآن وموضوعاته.

كان التحدي لهم تحدياً بيانياً. وكانت المثلية المطلوبة منهم مثلية بيانية، فلما عجزوا عن المعارضة كان عجزهم بيانياً، وبهذا يكون القرآن قد أعجزهم إعجازاً بيانياً⁽¹⁾

(1) البيان في إعجاز القرآن للدكتور صلاح الخالدي ص 136.

الإعجاز البياني هو مناط التحدي:

تحدى القرآن العرب بما يتقنونه ويحيدون فيه، وهو البيان والبلاغة والفصاحة، ولما طالبهم بمثل القرآن، أراد مثله في البيان والبلاغة والفصاحة. ولهذا قال لهم تعالى ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَاتَّبِعُوا عَشْرَ سُورٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَتْ وَأَدْعُوا مَنْ أَسْطَظَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [هود:13] وكلمة (مفتریات) ذات دلالة هامة في التحدي والعجز والإعجاز، فهي تشير إلى أن المطلوب منهم عشر سور مثل سور القرآن الكريم في بيانها وفصاحتها وبلاغتها وأسلوبها وليس مثل سور القرآن في علومها وموضوعاتها وأخبارها.

فلو كان مناط التحدي هو (الصدق التاريخي) في القصص والأخبار لما قال (مفتریات) ولو كان مناط التحدي هو (الصدق العلمي والموضوعي والتشريعي) في علوم القرآن وموضوعاته وتشريعاته، لما قال (مفتریات)⁽¹⁾.

لقد ألقى القرآن العرب - عندما تحداهم - من العلوم والأخبار والغيوب والتشريعات والمعاني، وطالبهم بالبيان والأسلوب، وهو الصورة والشكل وال قالب. طالبهم بالفاظ بليغة، وبيان فصيح، ولو كان هذا البيان مفترئ غير صحيح.

وبما أن التحدي كان في البيان، وبما أن المطلوب منهم هو البيان لذلك كان عجزهم في البيان، وكان القرآن معجزاً لهم في البيان. وكان ﴿ الإعجاز البياني ﴾ هو وجه الإعجاز الذي كان به التحدي.

(1) البيان في إعجاز القرآن للدكتور صلاح الخالدي ص 137.

قال سيد قطب في كتاب (التصوير الفني في القرآن) وهو يلاحظ هذا الأمر:
كيف استحوذ القرآن هذا الاستحواذ؟ وكيف اجتمع على الإقرار بسحره المؤمنون
والكافرون على السواء؟

فهذا الوليد بن المغيرة على الرغم من كفره لما سمع بعض آيات القرآن
الكريم قال لقد سمعت من محمد كلاماً، ما هو من كلام الإنس ولا من كلام
الجن، والله إنَّ له لحلاوة وإنَّ عليه لحلاوة، وأنه ليعلو ولا يعلى عليه، فإن الذي
وجدوه في القرآن الكريم فصاحة في اللفظ وبلاغة في المعنى، ونسق محكم بين
الآيات، ووضع كل هذا وغيره جعله يقول: ما هو من كلام الإنس ولا من كلام
الجن.

بعض الباحثين في مزايا القرآن، ينظر إلى القرآن جملة ثم يجيب، وبعضهم يذكر
غير الشق الفني للقرآن أسباباً أخرى، يستمدّها من موضوعاته بعد أن صار كاملاً:
من تشريع دقيق، ومن علوم كونية في خلق الإنسان والكون.
ولكنَّ البحث على هذا النحو إنما يثبت الميزة للقرآن مكتملاً، فما القول في
السور القلائل التي لا تشريع فيها ولا غيب ولا علوم، ولا تجمع بطبيعة الحال كل
المزايا المتفرقة في القرآن؟ إن هذه السور القلائل، قد تبحر بها العرب منذ اللحظة
الأولى، وفي وقت لم يكن التشريع المحكم ولا الأغراض الكبرى هي التي تسترعي
إحساسهم، وتستحق منهم الإعجاب يجب إذن أن نبحت عن منبع السحر في
القرآن قبل التشريع المحكم وقبل النبوءة الغيبية وقبل العلوم الكونية، وقبل أن
يصبح القرآن وحدةً مكتملة، تشمل هذا كله، فقليل القرآن الذي كان في أيام
الدعوة الأولى كان مجرداً من هذه الأشياء التي جاءت فيما بعد وكان مع ذلك محتوياً
على هذا النبع الأصيل الذي تذوقه العرب⁽¹⁾.

(1) التصوير الفني في القرآن 15-16 باختصار.

مراحل التحدي:-

إن تحدي القرآن كان في أكثر من آية، وفي أكثر من وقت واحد، وفي أكثر من مكان كذلك، لقد تعددت آيات التحدي وتعددت مراحلها كذلك:

أولاً: تحدوا أن يأتوا بمثل القرآن من غير تعيين قدر معين، قال تعالى ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ [الطور: 34]

ثانياً: ولما عجزوا أن يأتوا بمثله، أرخى لهم العنان مرة أخرى، قال تعالى ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿ فَأَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [هود: 13-14]

ثالثاً: فلما عجزوا ولم يستطيعوا أرخى لهم العنان، وخفف عليهم المؤنة فاكتفى منهم بسورة واحدة قال تعالى ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [يونس: 38]

رابعاً: ولكن القوم لم يراوخوا مكانهم فتحداهم وكانت المرة الأخيرة أن يأتوا بسورة تشبه القرآن، ولو من وجه من الوجوه، فقال سبحانه ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: 23-24]

أهمية الإعجاز البياني:-

إن أعظم وجوه إعجاز القرآن (الإعجاز البياني)، لأنه يتنظم القرآن الكريم كله، سوره على اختلافها طولاً وقصراً، أما الوجوه الأخرى من وجوه الإعجاز

فليس الأمر فيها كذلك، فأنباء الغيب مثلاً ليست موجودة في كل آية من القرآن وكذلك الإعجاز العلمي والتشريعي، ومن هنا كان الإعجاز البياني أهم هذه الوجوه وأعمها، بل هو أتمها، لأنه عام في القرآن كله لا تخلو منه سورة على قصرها، بل هو في كل آية - تكون على مقدار السورة القصيرة - وليس كذلك الوجوه الأخرى.

وإذا كان الإعجاز البياني إنما يرجع في لبه وجوهره إلى النظم، وإذا كان القرآن الكريم كتاب الإنشائية ~~بمعناها~~ ~~بمعناها~~ ~~بمعناها~~ منذ أنزله الله ما دامت الحياة والأحياء، إذا كان كذلك فليس من المنطقي أن يكون هذا النظام خاصاً بالعرب وحدهم، وإنما غلط من غلط في هذه القضية، لأنهم ظنوا أن الإعجاز البياني إنما هو حديث عن الصورة التي تمتع العواطف وتلذذها النفس، وترهق الحس، الصورة التي تقوم على الاستعادة والكناية والتشبيه، وهذه تختلف عند كل قوم باختلاف بيئتهم، ولكن النظم ليس كما حسبه، وإنما نعني بالإعجاز البياني الذي يقوم على النظم، ذلكم الترتيب الذي كان للكلمات القرآن في جملتها من جهة واختيار هذه الكلمات من جهة أخرى، ثم ترتيب الجمل والآيات في السورة. وتلك قضية كان يدركها العرب عند نزول القرآن بذوقهم وسليقتهم، أما العرب اليوم فإنما يدركونها بالفكرة لا بالفطرة بعد أن تفسر لهم وتبين لهم وقائعها. هم وغيرهم في ذلك سواء. فإذا أدرك العربي أن قوله سبحانه ﴿وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾ [النساء: 5] اختيرت فيه كلمة (في) على كلمة (منه) لأمر اقتصادي، وهو أن رزق أولئك ينبغي أن يكون مما تنتجه الأموال، لا من أساسه ورأسه، فإنه غير العربي يمكن أن يعرف هذا حين تفسر له معاني القرآن وإذا أدرك العربي أن قوله سبحانه: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ [المائدة: 14] استعملت فيه كلمة الإغراء دون الإلقاء لتدل على الإلصاق والدوام، فإن هذا يمكن أن يدركه غير العربي حينما يفسر له، ولا أدل على ذلك عن وضعنا اليوم، فنحن مع كوننا عرباً، ولكن بعدنا عن العربية

سليقة، يجعلنا لا ندرك هذه الدقائق ولا نتذوق معانيها إلا إذا فسرنا لنا، فنحن العرب وغيرنا سواء. إن المحققين من العلماء ذهبوا إلى أن الاستعارة والتشبيه وأنواع البديع ليست من جوهر الإعجاز القرآني ولكن النظم وحده هو جوهر هذا الإعجاز والنظم - له جانبان اثنان: (فكري ونفسي) لذا فإن القول بأن الإعجاز البياني خاص بالعرب وحدهم رغم أنه يكاد يكون من المسلمات - بحاجة إلى إعادة نظر ولم أجد من نبه على هذه القضية من قبل، ولهذا الأسباب وغيرها كتبت في بحثي هذا عن الإعجاز البياني بالتحديد.

د- رأي الأستاذ سامي حريز في مفهوم إعجاز القرآن الكريم البياني⁽¹⁾:
أود في هذه العجالة أن أسجل رأيي الشخصي لمفهوم الإعجاز⁽²⁾، بداية أود قول جملة وهي:-

إن السر في إعجاز القرآن الكريم هو في عجزنا عن إدراك هذا السر، فسبحان منزل القرآن. والذي تطمئن له النفس: هو القول بالإعجاز البياني الذي نجده في القرآن الكريم كله، لا فرق في ذلك بين سورة صغيرة وسورة كبيرة.

وغير هذا الوجه الإعجازي من الوجوه التي اعتبرها العلماء: يمكن جعلها من قبيل الدلالة على المصدر الرباني للقرآن ما قيل وما سيقال عنه مما يُكتشف.

وأعجبني رأي الأستاذ نعيم الحمصي في إعجاز القرآن الكريم والذي مفاده: بأن القرآن باغت بميزات أدرك جمالها وعُجزَ عن مثلها، ومن هذه المميزات/ ما يرجع إلى أسلوب القرآن الغريب الذي جاء مخالفاً لأساليب الكلام - عند العرب - وهي المميزات الظاهرة الواضحة، ومنها ما هو داخلي يدرك بالذوق ويصعب بيانه وتعليقه، بل قد يكون متعذراً.

(1) يراجع كتاب سامي حريز: نظرات من الإعجاز البياني ص 33، 44.

(2) هذا ما تقضيه المنهجية السديدة.

وذلك في أنه حوى صفات الأدب الخالد ومميزاته، وهذا ما جعل المتأخرين من العرب ومن تعلموا العربية يدركون إعجازه ويتذوقون جماله..

وهذه المميزات جعلت فيه وحدة موضوعية تسعى للمثل الأعلى وتحقيق خير الإنسانية، وأيضاً نجد في داخله التعاليم الرفيعة والقيم الخلقية التي تسعى لتنظيم الكون على بساطتها، وفي هذه البساطة سر من أسرار جمالها.. ولا ننسى أسلوبه العظيم..⁽¹⁾

فللقرآن الكريم أساليبه الخاصة المختلفة في بيان وإيضاح فرائضه من عبادات وأحكام وتعاليم وهدايات، فأحياناً نجد الترغيب والترهيب، وأسلوب الحكمة، وأساليب متنوعة في الكشف عن أسرار النفس، وكذلك نجد في القرآن الكريم واقعنا كله الذي نعيشه ونحيا معه، وفي جميع فنونه له أسلوبه في طرق الهداية. والهداية هذه التي هي أقوم، وكذلك نجد أسلوب الإعلام، وكذلك أسلوب مكافحة الجريمة، وأيضاً نجد أسلوب معالجة الأمراض الاجتماعية.. الخ.

والقرآن الكريم يبقى له أسلوبه المتفرد في الكشف عن معانيه، وهذا الأسلوب يتمثل في الصبغة الذاتية التي يحملها الكلام، فهي صبغة ربانية إلهية.

وهذه الصبغة الإلهية قائمة في كل كلمة من كلمات القرآن الكريم. وكل كلمة أعطاه الله تعالى وجودها الحقيقي الذاتي، وهذا له الوجود الفعال، وهذا لا يُدرك عند البشر وإنما يرمز له، فالمعاني الإلهية من قدرات غير محسوسة.

وهذه الصبغة الإلهية تشكل الطابع الإعجازي.

(1) الأستاذ نعيم الحمصي: فكرة إعجاز القرآن ص 52 (باختصار).

الفصل الثاني:

قبسات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم

ويضم ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بيان الفروق بين الألفاظ المتقاربة.

المبحث الثاني: لطائف قرآنية.

المبحث الثالث: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني.

المبحث الأول: بيان الفروق بين الألفاظ المتقاربة

المطلب الأول: أوتوا الكتاب وآتيناهم الكتاب:

الفرق بين أوتوا الكتاب وآتيناهم الكتاب في البيان القرآني:-

إن من روائع التعبير القرآني ما نراه في الكلام على الذين أوتوا الكتاب، ففي البيان القرآني نجد أنه إذا كان المقام مقام مدح وثناء لأهل الكتاب فإن المولى تبارك وتعالى يظهر ذاته وينسب إيتاء الكتاب إلى نفسه ﴿ آتيناهم الكتاب ﴾ وإذا كان المقام مقام ذم وتقريع لهم نجده يبيّن فعل الإيتاء إلى المجهول فيقول: ﴿ أوتوا الكتاب ﴾ ومن الأمثلة:-

قول الله تعالى ﴿ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: 54] ويقول تبارك وتعالى ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [الجاثية: 16] ويقول تبارك وتعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ وإذا بتلّي عليهم قالوا ءامنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبليه مسلمين ﴾ [القصص: 52-53] في هذه الآيات القرآنية أسند الله تبارك وتعالى الإيتاء إلى نفسه في مقام المدح في حين قال تبارك وتعالى: ﴿ نَبْدَ قَرِيْقٍ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كَتَبَ اللَّهُ وِرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

[البقرة: 101] وقال تبارك وتعالى ﴿ أَلَمْ تَرْ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ

﴿ [آل عمران:23] وقال تعالى ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [آل عمران:186] وغيرها من الآيات.

ففي مقام الذم والتقريع لأهل الكتاب يبنى للفعل المجهول.

المطلب الثاني: النعمة والنعيم.

الفرق بين النعمة والنعيم في البيان القرآني.

نلاحظ أن كلمة نعمة في القرآن الكريم! إنما هي لنعم الدنيا على اختلاف أنواعها يطرد ذلك ولا يتخلف في مواضع استعمالها، مفرداً وجمعاً.

كقوله تعالى ﴿ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ

﴿ [البقرة:211] وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾

[إبراهيم:6] أما صيغة النعيم فتأتي في البيان القرآني بدلالة إسلامية، خاصة بنعيم

الآخرة بطرد هذا ولا يتخلف في كل آيات النعيم وعددها ست عشرة آية: كقوله

تعالى: ﴿ أَيْطَمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴾ [المعارج:38] وقوله

تعالى ﴿ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ [الشعراء:85] وقوله تعالى ﴿ إِنْ

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴾ [لقمان:8]

المطلب الثالث: حلف وأقسم:

الفرق بين الحلف والقسم في البيان القرآني:

قال الله تعالى ﴿ وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ

يَفْرُقُونَ ﴾ [التوبة:56] وقال سبحانه: ﴿ وَإِنَّهُ لَفَسَدْ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ

﴿ [الواقعة:76] كثيراً ما يفسر أحدهما بالآخر، وقلما تفرق بينهما المعاجم، نحتكم إلى البيان الأعلى في النص المحكم فيشهد الاستقراء الكامل بمنع ترادفهما. جاءت مادة (حلف) في ثلاثة عشر موضعاً كلها بغير استثناء في الحنث باليمين (أي اليمين الكاذبة) وأما القسم. فيأتي في الأيمان الصادقة سواء كانت حقيقة أو وهماً. وبهذا يختص الحلف بالحنث في اليمين (أي اليمين الكاذبة) ويكون القسم لمطلق اليمين، وهذا ما اطرده استعماله في البيان القرآني.

المطلب الرابع: الخشية والخوف:

الفرق بين الخشية والخوف في البيان القرآني:

قال تعالى ﴿ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ [التوبة:18] وقال تعالى ﴿ وَلَيَبْدِلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [النور:55] نلاحظ أن الخشية في البيان القرآني تفرق عن الخوف، بأنها تكون عن يقين صادق بعظمة من نخشاه، وأما الخوف فيجوز أن يحدث عن تسلط بالقهر؛ ولهذا فالخشية يجب أن لا تكون إلا لله وحده، دون أي مخلوق، يطرده ذلك في كل مواضع استعمالها في الكتاب الحكيم بصريح الآيات. وتستند خشية الله في القرآن الكريم إلى الذين يبلغون رسالات ربهم ومن اتبع الذكر والمؤمنين والعلماء والذين رضي الله عنهم ورضوا عنه⁽¹⁾.

المطلب الخامس: زوج وامرأة:

الفرق بين (زوج وامرأة) في البيان القرآني:

قال الله سبحانه وتعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم:21] قال الله سبحانه

(1) الإعجاز البياني للقرآن الكريم ص 226.

وتعالى ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ ﴾ [التحریم: 10] نلاحظ أن البيان القرآني يستعمل لفظ زوج حينما تحدث عن آدم وزوجه وقد يبدو من القريب أن يترادفا فيقوم أحد اللفظين مقام الآخر، وذلك ما ياباه البيان القرآني المعجز، وهو الذي يعطينا سر الدلالة في الزوجية مناط العلاقة بين آدم وزوجه، فكلمة (زوج) تأتي حيث تكون الزوجية هي مناط الموقف: حكمة وآية، أو تشريفاً وحكماً كقوله تعالى ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: 21] وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ [الفرقان: 74] وقوله تعالى لما استجاب لذكرى وحقت الزوجية حكمتها، قال تعالى ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَاهُ لَهُ رَؤُوسَهُ ﴾ [الأنبياء: 90] فإذا تعطلت آية الزوجية من السكن والمودة والرحمة بخيانة أو تباين في العقيدة أو بعقم أو ترميل فالبيان القرآني يستعمل: امرأة لا زوج.

كقوله تعالى ﴿ امْرَأَتِ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ [يوسف: 30] وقوله تعالى ﴿ امْرَأَتِ نُوحٍ وَامْرَأَتِ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ [التحریم: 10] وقوله جل جلاله ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴾ [مريم: 5]

المطلب السادس: الرؤيا والحلم:

الفرق بين الحلم والرؤيا في البيان القرآني:

استعمل القرآن الكريم (الأحلام) ثلاث مرات، يشهد سياقها بأنها
الأضغاث المهوشة والهواجس المختلطة، وتأتي في المواضع الثلاثة بصيغة الجمع
دلالة على الخلط والتهوش لا يتميز فيه حلم عن آخر:

قال تعالى ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلْ اقْتَرَنَهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ
كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ ﴾ [الأنبياء: 5]

أما الرؤيا فقد جاءت في القرآن الكريم سبع مرات كلها في الرؤيا الصادقة
وهو لا يستعملها إلا بصيغة المفرد دلالة على التميز والوضوح والصفاء.

قال الله تعالى ﴿ قَالَ يَبْنَئِي لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ
كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [يوسف: 5]

المطلب السابع: الإنس والإنسان:

الفرق بين استعمال الإنس والإنسان في البيان القرآني:

الإنس والإنسان يلتقيان في الملحوظ العام لدلالة مادتها المشتركة على نقيض
التوحش لكنهما لا يترادفان، فلفظ الإنس يأتي في القرآن الكريم مع الجن على
وجه التقابل، يطرد ذلك، ولا يتخلف في كل الآيات التي جاء فيها اللفظ قسيماً
للجن، وعددها ثماني عشرة آية، والإنسية نقيض التوحش، وبهذه الإنسية يتميز
جنس عن أجناس خفية مجهولة غير مألوفة لنا، ولا هي تخضع لنواميس حياتنا.

قال تعالى: ﴿ يَسْمَعُ شَرَّ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ ﴾ [الأنعام:

130] وقال سبحانه ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [

الذاريات: 56] أما الإنسان فليس مناط إنسانيته كونه مجرد إنس، وإنما الإنسانية فيها
ارتقاء إلى أهلية التكليف وحمل أمانة الإنسان. وما يلامس ذلك من تعرض للابتلاء

والخير، وقد جاء لفظ الإنسان في القرآن الكريم في خمسة وستين موضعاً كقوله تعالى ﴿ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: 28] وقال سبحانه وتعالى ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرًا كَافُرًا ﴾ [هود: 9] وقوله سبحانه وتعالى ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴾ [الإسراء: 13]

المبحث الثاني: لطائف قرآنية

المطلب الأول: حكمة تنكير أحد وتعريف الصمد:

قال تعالى ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكِلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝
وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ ﴾ [الإخلاص: 1-4]

حكمة تنكير أحد أنها مسبقة بكلمتين معرفتين "هو الله" وهما مبتدأ وخبر، وبما أن المبتدأ والخبر معرفتان ودلالتهما على الحصر، فقد استغني بتعريفهما ودلالتهما على الحصر عن تعريف "أحد" فجاء لفظ "أحد" نكرة على أصله لأن الأصل في الكلمة هو التنكير فهو نكرة وإعرابه خبر ثان.

كما أن لفظ "أحد" جاء على التنكير للتعظيم والتفخيم والتشريف وللإشارة إلى أن الله تعالى فرد أحد لا يمكن تعريف كلفيته ولا الإحاطة به سبحانه وتعالى.

أما الصمد فقد جاء معرفة في الآية الثانية لأن "الله الصمد" مبتدأ وخبر وجاء معرفين ليطلقاً هو الله في الآية الأولى وقد جاء تعريف ﴿ الله الصمد ﴾ ليدل على الحصر أيضاً فقوله تعالى ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ ﴾ يدل على الحصر لتعريف المبتدأ والخبر (الأحديّة) محصور بالله وقوله تعالى ﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ يدل على الحصر أيضاً لتعريف المبتدأ والخبر والصمدانية محصورة بالله جل جلاله.

المطلب الثاني: الفرق بين سلام على يحيى والسلام على عيسى عليهما الصلاة والسلام.

قال تعالى ﴿ يٰٓيَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ۚ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ۝ وَحَنَانًا مِّنَ لَّدُنَّا وَزَكَاةً ۚ وَكَانَ تَقِيًّا ۝ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ۝ ﴾

وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٢-١٥﴾ [مريم: 12-15] وقال الله تعالى عن عيسى عليه السلام ﴿١٦﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿١٧﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿١٨﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿١٩﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٢٠﴾ [مريم: 30-33]

وحكمة مجيء (سلام) نكرة في سياق قصة سيدنا يحيى عليه السلام؛ أن ذلك جاء في سياق تعداد نعم الله تعالى على سيدنا يحيى عليه السلام وإخبار من الله جل جلاله. بأنه قد منح سيدنا يحيى (سلاماً) كريماً في مواطن ثلاثة: يوم ولادته ويوم موت يحيى عليه السلام، ويوم بعثه عليه السلام حياً في الآخرة.

أما السلام في قصة سيدنا عيسى عليه السلام جاء معرفة: لأن لفظ السلام هو كلام من سيدنا عيسى عليه السلام حيث دعا ربه أن يمنحه السلام في ثلاثة مواطن: يوم ولادته ويوم موته ويوم بعثه حياً في الآخرة.

فيما أن سيدنا عيسى هو الذي دعا فمن المؤكد أنه سُلِّحَ في الدعاء كما هي السنة فيطلب المعالي، فلذلك عرّف السلام دلالة على أنه يريد السلام الكثير العام الشامل الغزير.

وهنا إشارة إلى أن السلام الذي حصل عليه سيدنا عيسى كأنه أخص من السلام الذي حصل عليه سيدنا يحيى وأن سيدنا عيسى أفضل من سيدنا يحيى فهو من أولي العزم من الرسل، صلى الله عليهم جميعاً.

المطلب الثالث: تقديم القتل على الموت وعكسه في نفس الموضع:-

من روائع التقديم والتأخير في بيان القرآن الكريم المعجز ورود آيتين متابعتين
قدّم اللفظ في الأولى وأخر اللفظ نفسه في الثانية.

قال الله تعالى في سورة آل عمران ﴿ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ
مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [آل عمران: 157-158] الآيات الكريمة في سياق غزوة أحد والتي كان فيها من
الشهداء ما هو معلوم وبما أن الموت في سبيل الله هو أشرف موت وأعظمه أجراً
عند الله قدّم القتل على الموت.

وهذا غير مُراد الآية الثانية التي تتحدث عن سنة الله على جميع الناس بالموت.
وبما أن الموت على الفراش هو الأعم والأغلب فمعظم الناس يموتون ميتة
طبيعية قدّم الموت.

والدليل على أن المقصود في الآية الثانية هو بيان سنة الله في الناس كافة هو
عدم اقتران القتل فيها بعبارة في سبيل الله التي اقترنت بها في الآية الأولى وشتان
بين قتل الشهيد وقتل الإنسان العادي، فالشهيد ينال رحمة من الله ومغفرة لذنوبه
كما هي عقيدة المسلمين وهذا ما أكدته الآية الأولى وهذا ليس إلا للمسلمين.

وبما أن القتل بشكل عام (للمسلمين وغيرهم، يكون فيه ظالم ومظلوم يجب
أن يكون هناك حكمٌ عادل يفصل بينهم) ..

فمن ينتصف للمظلوم:

ينتصف له يوم القيامة حيث يحشر الجميع بين يدي الله.

فقد يكون القاتل هو المظلوم والمقتول هو الظالم.

وبهذا جاء التعبير الإعجازي في الآية الثانية ﴿ لَّيْلَى اللَّهِ تَحْشُرُونَ ﴾.

المطلب الرابع: لطيفة قرآنية:

قال تعالى ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَكُمْ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ [الإسراء: 31]

وقال تعالى ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمَّا لَكُمْ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ [الأنعام: 151] نقف هنا مع مثال من دقائق التعبير القرآني العجيبة ففي آية الإسراء قدّم الله تعالى رزق الأبناء على رزق الآباء، قال تعالى ﴿ نحن نرزقهم وإياكم ﴾ وفي سورة الأنعام قدّم رزق الآباء ﴿ نحن نرزقكم وإياهم ﴾ والسر في ذلك أن قتل الأولاد في آية الإسراء كان خشية وقوع الفقر بسببهم فقدّم الله تعالى رزق الأولاد، وفي الأنعام كأنه قتلهم بسبب فقر الآباء فعلاً فقدّم رزق الآباء. فله ودر التزليل ما أروع أسرارهِ.

المطلب الخامس: الحرث:

قال الله تعالى ﴿ نَسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنِّي شَتِيتُمْ ﴾ [البقرة: 223]

نلاحظ أن المولى تبارك وتعالى اختار لفظة: (حرثكم) وهي لفظة دقيقة معبرة ذلك لأنه لما كان الجماع يحتمل معنى كيف وأين احترس سبحانه بقوله: (حرثكم) لأن الحرث لا يكون إلا حيث تنبت البذور وينبت الزرع وهو المخصوص⁽¹⁾

المطلب السادس: دلالة تكرار الاسم في نفس الموضع:

عندما يكون الاسمان المكرران معرفتين.. دلّ على أن الأول هو نفس الثاني غالباً ليدل على المعهود، مثال ذلك قوله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴿ [الفاتحة: 7] والصراط في الموضع

(1) البرهان للزركشي ص 67.

الأول معرّف بآل وبالثاني معرّف بالإضافة، والمراد بالاسم الأول الاسم الثاني..
فصراط الذين أنعم الله عليهم هو نفس صراط المستقيم⁽¹⁾.

أما إذا كان الاسمان المكرران نكرة فإن الأول غير الثاني غالباً لأن تكرار النكرة يدل على تعددها فالنكرة الأولى غير النكرة الثانية، مثال ذلك قوله تعالى في سورة سبأ: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غَدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ 11] فالشهر الثاني غير الشهر الأول ويكون المجموع شهران، كل هذا مقدمة لتوضيح الإعجاز البياني في سورة الشرح عند تفسير قوله تعالى ﴿فَإِنْ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [شرح: 5-6] العسر: مكرر هو عسر واحد (العسر الأول هو العسر الثاني فكلاهما معرفة).

يُسْر: مكرر ولكنهما يسران (اليسر الأول غير اليسر الثاني فكلاهما نكرة).
إن السورة الكريمة تأتي في سياق يتحدث عن تبشير أصحاب الابتلاء والمحنة والضيق والعسر أن ذلك كله سيزول وسيحل اليسر مكانه مضاعفاً، إن مقاصد هذه السورة بعث الأمل في صدور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه من الدعاة المبطلين وتخفيفاً عنهم وبعث الأمل في نفوسهم. ولذلك جاءت نسبة العسر إلى اليسر واحد إلى اثنين 2:1 حتى ينتظر المسلم المبتلى اليسر بأمل عريض وصبر جميل.

(1) أنظر أيضاً من الأمثلة الدالة على ذلك:

سورة الصافات: [158]، وسورة الزمر: [2، 3]، وسورة غافر: [9].

المبحث الثالث: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني

المطلب الأول: الإبدال:-

وقد يستعمل كلمة في موطن، ثم يستعملها في موطن آخر مبدلاً فيها حرف، وذلك نحو: مكة وبكة، واللاتي واللاتي، وبسطه وبسطه ونحوها وكل ذلك لغرض.

فقد قال تعالى ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِمَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ [٢٦] فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ [آل عمران: 95] وقال: ﴿ ۞ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِنَبْطِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [الفتح: 24]

نلاحظ بأنه قال في آية آل عمران: (بكه) وقال في الفتح: (مكة)؛ وسبب إيرادها بالباء في آل عمران، أن الآية في سياق الحج: (ولله على الناس حج البيت) وجاء الاسم (بكه) من لفظ (البك) الدال على الزحام لأنه في الحج يبك الناس بعضهم بعضاً أي: يزحم بعضهم بعضاً، فسميت (بكه) لأنهم يزدهمون فيها⁽¹⁾.

(1) أنظر (مفردات الراغب: 57).

وليس السياق كذلك في آية الفتح فجاء بالاسم المشهور لها- أعني (مكة)
بالميم- فوضع كل لفظ في السياق الذي يقتضيه والله أعلم، ومن ذلك أيضاً
استعمال اللاتي واللاتي.

قال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾
[الأحزاب:4] وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ
أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ
وَزُورًا ﴾ [المجادلة:2]

وقال تعالى: ﴿ وَاللَّائِي بِسِنٍّ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْبَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ
ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَئِكَ أَكْثَالٌ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾
[الطلاق:4] فقال في كل ذلك: (اللاتي) بالهمز.

في حين قال: ﴿ وَاللَّائِي يَأْتِيَنَّكَ الْفَحِشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ
أَرْبَعَةً مِنْكُمْ ﴾ [النساء:15]

وقال: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ
وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّائِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ
مِنْ الرُّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبُكُمُ اللَّائِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ
اللَّائِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ ﴾ [النساء:22]

وقال: ﴿ أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّائِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾
[يوسف:49]. وغيرها.

ومن الملاحظ في استعمال هاتين الكلمتين أنه استعمل (اللائي) بالهمزة في حالتي الظَّهَار والظُّلَّاق، ولم يستعملها في غيرها وكان ذلك لثقل الهمزة. فاستعمل الهمزة لنقلها للحالات الثقيلة النادرة، وهي حالات المفارقة.

ومن الطريف أن بناء (اللائي) وجزتها يوحي بذلك فكأنها مشتقة من: اللَّأْي، وهو الإبطاء والاحتباس والجهد والمشقة والشدة.

والمُظَاهِرُ، والمُطَلَّقُ محتبسٌ عن امرأته مبطيءٌ عنها، وفي ذلك ما فيه من الجهد والمشقة والشدة للطرفين. فانظر حُسْنَ المناسبة في اللفظ والمعنى والاستعمال.

المطلب الثاني: الذكر والحذف في المفردة:

قد يحذف في التعبير القرآني من الكلمة نحو (استطاعوا) و(استطاعوا)، و(تَنْزُلُ) و(تَنْزُلُ) و(تتوفاهم) و(تتوفاهم)، (لم يكن) و (لم يك) وما إلى ذلك. وكل ذلك لغرض وليس اعتباطاً. فالتعبير القرآني تعبيري فني مقصود، كل كلمة، بل هو كل حرف إنما وُضِعَ لقصد.

إن القرآن يحذف من الكلمة لغرض، ولا يفعل ذلك إلا لغرض، ومن ذلك على سبيل المثال:-

أنه يحذف من الفعل للدلالة على أن الحدث أقل مما لم يحذف منه، وأن زمنه أقصر، ونحو ذلك، فهو يقتطع من الفعل للدلالة على الاقتطاع من الحدث، أو يحذف منه في مقام الإيجاز والاختصار، بخلاف مقام الإطالة والتفصيل.

فإذا كان المقام مقام إيجاز أو جز في ذكر الفعل، فاقطع منه، وإذا كان في مقام التفصيل لم يقتطع من الفعل، بل ذكره بأوفى صورة .

وأما آية الشعراء، فإن التنزل فيها أقل، لأن الشياطين لا تنزل على كل الكفرة، وإنما تنزل على الكهنة، أو على قسم منهم، وهم الموصوفين بقوله ﴿ كُلِّ

أفالك أئيم ﴿٣٣﴾ يُلقون السَّمْعَ. ولا شك أن هؤلاء ليسوا كثيراً في الناس، وهم ليسوا بكثرة الأولين ولا شطرهم، بل هو قلةٌ فاقتطع من الحَدَث⁽¹⁾.

فقال تعالى: (تنزّل) يحذف إحدى التاءين.

وكذلك ما في آية سورة القدر، فإن تنزّل الملائكة، إنما هو في ليلةٍ واحدة في العام، وهي ليلةُ القدر، فهو أقل من التنزّل الذي يحدث باستمرار على مَنْ يحضره الموت، فاقتطع من الحَدَث.

فأنت ترى أنه اقتطع من الفعل إحدى التاءين في آتي الشعراء، وآية القدر لأنّ التنزّل أقل، ولم يحذف من آية (فصّلت) لأنه أكثر، والله أعلم.

(1) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: فاضل السامرائي.

الفصل الثالث:

الرد على فرية الحشو

1- قال تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ﴾ [البقرة: 74]

قالوا: إن الجملة الأولى تُغني عن الثانية.

ونقول: ما أبعد ما ذكرتم عن الحقيقة، فهنا قضية لطيفة دقيقة، الآية تتحدث عن قسوة قلوب اليهود، وتشبهها بالحجارة، بل هي أشد قسوة، فمن الحجارة ما يتفجر منها الماء الكثير دون أن يحدث لها شيء، ومن الحجارة ما يخرج منها الماء بعد تشققها وشتان بين النوعين، فإذا لم تكن قلوبكم من الصنف الأول، وهي القلوب التي تتفجر منها الحكمة، أفلا تكون من الصنف الثاني التي يمكن أن تهتدي بعد معالجة، ويعد أن تدمغها الحجة، فالجملتان - كما رأينا - لا تعني أحدهما عن الأخرى⁽¹⁾

2- ومن الجمل التي طأروا بها غرْحاً، وظنوا أنهم وقعوا على صيد سمين، وكنز ثمين، وما هو إلا أنه سقط في أيديهم من هذه الجمل قوله سبحانه: ﴿ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ [البقرة: 196]، بعد قوله: ﴿ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ﴾ [البقرة: 196]؛ لأن هذه الجملة لا معنى لها، والأمر ليس كما توهموه وهنا مقامان اثنان:-

الأول: قوله سبحانه: ﴿ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ فلقد جيء بها - هنا - حتى لا يُتوهم التخيير بين ثلاثة في الحج، وسبعة إذا رجع الحاج إلى أهله وبلده، وربما يعلل هذا بأن الصوم في الحج فيه مشقة أكثر، وععب أكبر على الصائم ولا توجد هذه

(1) لطائف المنان وروائع البيان: لفضل عباس: ص 29.

المشقة إذا رجع الحاج إلى بيته، فيمكن أن تقوم الثلاثة في الحج مقام السبعة في الوطن والأهل فأراد القرآن أن ينفي ذلك الوهم.

وأما ثانياً: فقوله سبحانه ﴿كاملة﴾ تطيب لخاطر أولئك الصائمين الذين لا يجدون الهدي، والذين يظنون أن مثوبة من قدّم الهدي أكثر وأكبر، فأراد ربنا سبحانه أن يبين أنها كاملة في ثوابها وأجرها، فلقد أدّت هذه الجملة على قصرها أكثر من فائدة⁽¹⁾.

3- ومن هذه الجمل التي زعموا أنه لا حاجة لها من حيث المعنى قوله سبحانه: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [آل عمران: 27]؛ ومن ذلك قوله: ﴿يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ [الزمر: 5] لأن إحدى الجملتين في كل آية من الآيتين كافية لأداء المعنى، مغنية عن قرينتها وصاحبتهما.

ولكن القارئ حينما يعين النظر يجد ما قالوه بعيداً عن الحقيقة، مجانباً للصواب، فلذلك يمكن أنه يتحقق إذا كان هناك شيان ثابتان يمكن أن يولج أحدهما في الآخر، أو يُكْوِّر أحدهما على الآخر، كأن يولج اليد في الماء، أو السيف في الغمد، ولكن الليل والنهار يختلفان عن ذلك، لأن أزمتهما تختلف باختلاف فصول السنة، فكل منهما يمكن أن يزيد أو ينقص فالنهار يمكن أن يأخذ من الليل في أيام، والليل يمكن أن يأخذ من النهار في أيام، ولو اكتفى بجملة واحدة لكان كل منهما ثابتاً لا يتغير، فما أبدع وأحكم وأعذب وأعظم هذا القرآن، ﴿وَلَوْ كَانِ مِنَ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: 82].

(1) مسائل الرازي وأجوبتها من غرائب آي التنزيل، ص 13.

4- ومن هذه الجمل مخاطبة الملائكة لمريم عليها السلام: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءٍ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 42]، ومنها أيضاً قول امرأة عمران: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ [آل عمران: 36]

وكلتا الجملتين - كما جاءت - موازنة من حيث اللفظ، فلقد جاءت ثرية من حيث المعنى:

فقوله سبحانه: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾، جاءت على لسان امرأة عمران تبدي اعتذارها، وتظهر تحسرها، وقد نذرت ما في بطنها محرراً، وكأنما كانت على يقين بأنه ذكر، لأنه هو الذي يصلح لخدمة المعابد، فلما وضعتها أنثى قالت وهي تحاول أن تتغلب على ذلك الشعور الذي كان ينتابها في حالة الحمل، ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾ يدلنا على ذلك كلمة (إِنْ) التي هي للتأكيد، وهذا التأكيد لا يمكن أن يكون بالنسبة لله تعالى، إنه تأكيد لها هي، تمحو ما استقر في نفسها من أنه ذكر، ثم تقول: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾، هي لا تصلح إذن للوفاء بهذا النذر الذي نذرت⁽¹⁾.

5- وأما قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءٍ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 42]، حيث ذكر الاصطفاء مرتين، فإن أحدهما لا يغني عن الآخر لأن الأول اصطفاء للخدمة في مجال العبادة رغم كونها أنثى. وأما الثاني: فهو اصطفاء من أجل ولادة عيسى عليه السلام وعلى نبينا وأنبياء الله صلوات الله وسلامه، يدل على ذلك قوله بعد الاصطفاء الأول

(1) لطائف المئان وروائع البيان ص 29.

﴿ وَطَهَّرَكَ ﴾ وقوله في الاصطفاء الثاني: ﴿ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ فكلتا الجملتين - كما رأينا - أدت معنى غير الذي أدته الأخرى⁽¹⁾.

6- وهكذا تجد كلمات الله، كل كلمة تحمل في طياتها معنىً جديداً فإذا قال تعالى: ﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة: 255] أو إذا قال: ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ [آل عمران: 46]، فأصحاب النظرة السطحية ربما يقولون: ما فائدة النوم بعد نفي السنة، وما فائدة قوله ﴿ وَكَهْلًا ﴾ بعد قوله ﴿ فِي الْمَهْدِ ﴾، ولكننا إذا عرفنا أن نفي النوم بعد السنة قصد به التدرج من الأقل إلى الأكثر، وأن كلمة (كهل) فيها بشارة لمريم من أنه سيصل إلى مرحلة الكهولة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن كلامه في حالة المهد وحالة الكهولة سواء، فإذا كان الكهل يكلم الناس على ما يقتضيه العقل السليم والمنطق الصحيح، فكذلك هو في حالة المهد⁽²⁾.

7- ومن هذا قوله سبحانه: ﴿ إِنْ اللَّهُ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ [آل عمران: 45] فإن فائدة هذه الجملة الأخيرة وهي قوله تعالى: ﴿ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ التي ما ورد في معناها تثبيت لمريم، وطردها لكل ما ينتابها من هواجس القلق، ومشاعر الحيرة من أنه سينسب لك وهذا له خاصة، لأن الناس إنما يدعون لأبائهم⁽³⁾.

8- ومن الجمل التي زعموا بأنها زائدة قول الله تبارك وتعالى (ولا تكتُمونه) بعد قوله، ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾ قالوا: إن هذه

(1) لطائف المثنان وروائع البيان ص 29-30.

(2) لطائف المثنان وروائع البيان ص 30.

(3) لطائف المثنان وروائع البيان ص 30.

تغني عن قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ ونقول: إن لكل من الجملتين معنى و غرضاً، وإن قوله تعالى ﴿وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ جاءت مؤنسة ولم تأت عَرَضاً، ذلك أن البيان لا يشترط فيه الدوام، فقد بين الشيء لأول وهلة، ولكن يُتغاضى عنه فيما بعد، فقوله سبحانه ﴿وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ إنما يدل على استمرار هذا البيان في جميع الأوقات والأحوال⁽¹⁾.

وشبيه بهذا قوله سبحانه ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّعْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَامِينَ مَخْلِقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ [الفتح: 27]، فرمما يتوهم أن قوله سبحانه ﴿عَامِينَ﴾ يغني عن قوله: ﴿لَا تَخَافُونَ﴾، وليس الأمر كذلك، ذلك لأن قوله: ﴿عَامِينَ﴾ إنما يدل على الأمن حال الدخول، وأما قوله سبحانه: ﴿لَا تَخَافُونَ﴾، فإنما يدل على استمرار هذا الأمن، وعلم عدم الخوف فيما بعد ذلك وكم من آمن في أول الطريق يعرض له الخوف في منتصف الطريق ونهايته⁽²⁾.

10- ولا ننس في هذا المقام قوله سبحانه: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ [الأنعام: 141]، فلقد عدّوا هذه الجملة الأخيرة: ﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾ لا ضرورة لها، حيث أغنى عنها قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾

وهيهات أن يدركوا ما يبلغون به مقاصدهم، من وجود شبهة وشائبة هذا القرآن، فقوله: ﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾ ندرك فيها معنى جديداً، ذلك أنه لو قال: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ فحسب، لتبادر لكثير من الناس أن هذا الأكل لا ينبغي إلا حين

(1) لطائف المنان وروائع البيان ص 31-32.

(2) لطائف المنان وروائع البيان ص 31-32.

كمال النضج والاستواء، فجاء قوله سبحانه: ﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾؛ وذلك ليدل على أن هذا الأكل يمكن أن يكون حين بُدؤ الثمرة وظهورها، فليس الأكل متوقفاً على تمام النضج، ونحن نرى أن الكثيرين تتوق نفوسهم للأكل من بساتينهم و حدائقهم إذا بدت ثمار أشجارها دون أن يتم النضج، ويكمل استواؤها⁽¹⁾

ثم أليس في هذه الجملة ما يبعث على الرجاء و يفتح باب الأمل، ويقوي صلة الناس بخالقهم؛ لأن قوله: ﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾ شرط، وقد يتخل الشرط؟ صحيح أن (إذا) تفيد التحقيق ولكنها مع هذا لا ينتفي منها معنى الشرطية، إنها تحمل الإنسان على أن يترقب الخير من خالقه .

11- ومن الجمل التي ادّعوا زيادتها قوله تعالى: ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ

لَيْلَةً﴾ [الأعراف: 142] بعد قوله سبحانه: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ

لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾ [الأعراف: 142] قالوا فلا ضرورة لما جاء بعد ذلك .

والحقيقة أنه لا زيادة كما ادّعوا؛ لأنه لو قال: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ

لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾ [الأعراف: 142]، فرمما يتبادر إلى الأذهان أن هذه العشر

مكملة للثلاثين، وأن المواعدة كانت عشرين ليلة، فكان لا بد من نفي هذا المتبادر،

فجاء قوله سبحانه: ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الأعراف: 142] .

12- ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾

قالوا إن الصَّيْب لا يكون إلا من السماء، فما معنى أن ينص على ذلك؟!

(1) المرجع السابق نفسه: ص 31، ص 32.

ونقول لأولئك إن قوله سبحانه وتعالى: ﴿ من السماء ﴾ ما جاءت لتبين الجهة التي ينزل منها المطر، وإنما جاءت لتبين أمراً آخر وهو أن هذا الصيب لا ينزل عليهم من جهة واحدة، وإنما من جهات متعددة، فكلما أرادوا أن يقوا أنفسهم ليكونوا في معزل عنه، فإنهم لن يستطيعوا ذلك فلفظ (السماء) معرف فكأنه قيل من جميع جهات السماء، لا فرق بين جهة وأخرى.

13- قوله سبحانه: ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [البقرة: 61]

قالوا إن كلمة ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ لا ضرورة لها؛ لأن قتل النبيين لا يكون بحق أبداً ولماذا عبتم على زهير قوله: وأعلم علم اليوم والأمس قبله.

فقلتم: إن كلمة: (قبله) لا معنى لها، لأن الأمس يكون قبل اليوم بداهة؟!

قلنا شتان بين الكلمتين، فقوله سبحانه: ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ فيه زيادة تشنيع وتوبيخ لأولئك، فهم يقتلون النبيين دون أي ممنوع، وهم يعلمون أن ذلك القتل بغير حق، ونحن نرى بعض الناس يفعلون الخطأ متوهمين أنه حق، أما أولئك فهم يفعلون جريمتهم، ويعلمون أنهم يقدمون عليها دون أي حق في ذلك.

14- قوله تعالى: ﴿ قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ [البقرة: 79]

قالوا هل تكون الكتابة إلا باليد؟!

ونقول لهم: أسقطوا هذه الكلمة من أي كلام آخر، وانظروا ما هو المعنى الذي يؤديه الكلام الذي أسقطتم منه هذه الكلمة، إن فيها من التقريع والتوبيخ ومن الحجة على أولئك ما لا يمكن وصفه، فهي تصور أن هذه الكتابة بأيديهم هم ليسوا راضين عنها فحسب بل هم الذين باشروها، وقد يقال: وصل كتاب الأمير ولا يكون هو الذي كتبه، وليس الأمر مع القليل، بل هم الذين كتبوا بأيديهم

وباشروا الكتابة مباشرة فعلية، فما أبدع النظم القرآني وما أروع المعنى الذي تؤديه
كل كلمة من كلماته؟

الفصل الرابع:

الرد على قضية الزوائد

ويندرج تحته سبعة مباحث:

- المبحث الأول: الرد على قضية زيادة الحرف إلى.
- المبحث الثاني: الرد على قضية زيادة حرف الباء.
- المبحث الثالث: الرد على قضية زيادة حرف اللام.
- المبحث الرابع: الرد على قضية زيادة الحرف من.
- المبحث الخامس: الرد على قضية زيادة الحرف عن.
- المبحث السادس: الرد على قضية زيادة الحرف في.
- المبحث السابع: الرد على قضية زيادة حرف الواو.

المبحث الأول: الحرف (إلى)

قالوا⁽¹⁾: إنها زائدة في قوله سبحانه ﴿فَأَجْعَلْ أَفْتِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: 37] بفتح واو تهوى وهي قراءة أبي جعفر (عشرية)، وهو أحد القراء الثلاثة بعد السبعة والحق أن (تهوى) هنا مضمنة معنى الميل: أي اجعل أفئدة من الناس تميل إليهم .

والقول بالزيادة يذهب برونق المعنى واللفظ على السواء لأن المعنى يصير هكذا: واجعل أفئدة الناس تهواهم، وهذا معنى غير مراد. وأكثر اللغويين يرون أن (إلى) لا تأتي زائدة في غير القرآن الكريم ففي القرآن أولى بالطبع.

المبحث الثاني: حرف الباء

والباء التي عدوها زائدة تنحصر في مطلبين:

المطلب الأول: ما لا يندرج تحت قاعدة .

المطلب الثاني: ما اندرج تحت قاعدة وهي الباء الواقعة في خبر ليس .

المطلب الأول: ما لا يندرج تحت قاعدة .

وقد ذكروا فيه خمساً وعشرين آية منها:

الآية الأولى:

قوله تعالى: ﴿وَبَاءٌ وَيَغْضَبُ مِّنَ اللَّهِ﴾ [البقرة: 61]، [آل عمران: 112]

(1) البحر المحيط (433 / 5)، المغني لابن هشام (76 / 1) .

وهذه الآية تتحدث عن بني إسرائيل، قالوا: إن الباء زائدة؛ لأن (باؤوا) بمعنى استحقوا، واستحق لا تتعدى بالباء، فلا يقال: استحق بغضب من الله وإنما يقال استحقوا غضباً، فالباء زائدة إذن ..

لم يدر بخلداهم إلا أن يفسروا (باؤوا) بمعنى استحقوا وهذا التفسير ما أظنه⁽¹⁾ متسقاً من حيث المعنى والسياق، فضلاً عن اللغة نفسها .

أما أولاً: أي من حيث المعنى والسياق، فلأن الآيات تتحدث عن بني إسرائيل بعد خروجهم مع موسى عليه الصلاة والسلام، حيث أنعم الله جلّ جلاله عليهم بتظليل الغمام والمن والسلوى وغير ذلك فقالوا: ﴿لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ [البقرة: 61]، ف قيل لهم: ﴿أَهْبِطُوا مِصْرًا﴾ [البقرة: 61]، ثم قال تعالى: ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ﴾ [البقرة: 61] [آل عمران: 112]، فالبيان الذي يفهم من الآية، أن يقال (باؤوا): ارجعوا بغضب فالباء إذن جاءت مكانها، أي: رجعوا مصحوبين بغضب من الله، أي فالباء جاءت للمصاحبة .

وأما ثانياً: أي من حيث اللغة، فتفسير البوء بالاستحقاق قد لم يقبل به إلا (أبو روق) من اللغويين كما نقل عنه صاحب البحر⁽²⁾ ولا يجوز أن يتحكم متحكم في تفسير الكلمات ليقرر أو ليستتج ما ينبغي أن ينزه القرآن عنه .

الآية الثانية:

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: 194]

(1) البحر المحيط (236/1).

(2) البحر المحيط للإمام أبي حيان الأندلسي (236/1).

قالوا⁽¹⁾ إن الباء زائدة و المعنى: فاعتدوا عليه مثلما اعتدى عليكم .

والآية الكريمة جاءت لتطمئن المسلمين وترد عليهم ما اتهموا به من قبل الكفار من اعتداء في الشهر الحرام، فالآية الكريمة جاءت تنهى المسلمين عن قبول الظلم حائث إياهم على أن يقابلوا الاعتداء بمثله، دونما زيادة والباء هي التي تعطينا هذا المعنى أي اعتدوا عليه بعقوبة مماثلة لجنايته.

هذه الباء إذن بعيدة عن أن تحوم حولها شائبة زيادة، والباء هنا للتعدية كذلك.

الآية الثالثة:

قوله سبحانه: ﴿ فَتَيَمُّوْا صَعِيْدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوْا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُوْرًا ﴾ [النساء: 43]

قالوا إن (الباء زائدة، والمعنى: فامسحوا وجوهكم).

ولكني تتدبر الأمر جيداً، يحسن بنا أن نتلوا آية المائدة: ﴿ يَتَأْتِيهَا الْدُخَانُ مِمَّا آمَنُتُوْا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوْا وُجُوْهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوْا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَتَيْنِ ﴾ [المائدة: 6]. فلقد تعدى فعل الغسل بنفسه غير مقترن بالباء، ﴿ فَاغْسِلُوْا وُجُوْهَكُمْ ﴾ [المائدة: 6] وتعدى المسح بالباء فقال عز وجل: ﴿ وَامْسَحُوْا بِرُءُوسِكُمْ ﴾ [المائدة: 6] كما تعدى بالباء في سورة المائدة كذلك ﴿ وَامْسَحُوْا بِرُءُوسِكُمْ ﴾ [المائدة: 6].

وغرضنا الآن أن نتحدث عن الآية التي معنا آية النساء فلقد ذكرت الوجوه مقترنة بالباء في هذه الآية ولو كان القصد زيادتها لقال: ﴿ فامسحوا وجوهكم ﴾

(1) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (1/108).

ولكن ذكرها في كتاب الله يُشعر بفرق بين الموضعين ويدل على غرض ذكرت من أجله هذه الباء وهذا ما سنحاول بيانه إن شاء الله.

نحن نذكر بداهةً فرقاً بين الغسل والمسح حيث:-

الغسل: يدل على مباشرة العضو، فنحن حينما نغسل ثوباً أو عضواً، فلا بد أن نباشر العضو المغسول بالعضو الغاسل، وليس هناك معنى للغسل إلا هذا.

المسح: لا تشترط فيه هذه المباشرة فأنا قد أمسح شيئاً دون أن أباشره بيدي.

إذا عرضنا هذا الفرق، بين الغسل والمسح استطعنا أن ندرك السبب الذي جاءت من أجله الباء، وهو أن المسح لا بد أن يكون فيه مباشرة من العضو الممسح للعضو الممسوح والباء هي التي تكفلت بهذه المهمة ومعناها في الآية الكريمة (الإلصاق).

ذلكم هو سر الحرف في كتاب الله تبارك وتعالى، وهذا يدلنا على قصد القرآن، وإيجازه ووقائه بما يهدف إليه، حيث يقرر معنى من المعاني فقد جرد النسل من الباء وذكرنا هذه الباء مع المسح مع أن الفعلين الغسل والمسح يقعان على الوجوه.

الآية الرابعة:

قال تعالى ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَتَيْنِ﴾ [المائدة: 6] قالوا إن الباء زائدة والحق أنه لا زيادة.

أ- لأن الباء تدل على التبعض، من هنا أخذ كثير من الأئمة بأنه لا يجب مسح كل الرأس.

ب- إن من معاني هذه الباء الإلصاق ولو لم تكن لذهبت مثل هذه الفائدة كما من قبل⁽¹⁾

(1) لطائف المنان وروائع البيان لفضل حسن عباس ص 109-110

الآية الخامسة:

قال تعالى ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ ﴾ [الإسراء: 50]

القائلون⁽¹⁾ بالزيادة نظم الآية عندهم هكذا: وما منعنا أن نرسل الآيات وهذا غير مقبول ولا مستقيم لأن الآيات لا ترسل، وإنما الرسل هم الذين يرسلونها. ومعنى الآية وما منعنا أن نرسل بالآيات فهذا الحرف لا يتم المعنى بدونه، ومعنى الباء هنا (المصاحبة)⁽²⁾

المطلب الثاني: ما اندرج تحت قاعدة (الباء الواقعة في خبر ليس):

بعد الانتهاء بتوفيق الله من الباء التي لا تندرج تحت قاعدة معينة نتحدث الآن عن الباء التي تقع في خبر ليس و(ما) المشبهة بها وهي التي تكاد تطرد في وقوعها بهذا الخبر.

وقد قامت الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي بإعداد بحث جليل لهذه الباء في كتابها: (الإعجاز البياني) أثرت أن أقتطف منه، تقول في أول هذا البحث: وانطلاقاً من هذا الملحظ لسر الحرف. أقدم هنا لقضية الإعجاز البياني في بعض الشواهد من حروف قرآنية، مفردة ومركبة، حاول اللغويون والبلاغيون في تأويلها أن يعدلوا بها - على وجه التقدير - على الوجه الذي جاءت به، لكي تلي مقتضيات الضنعة الإعرابية وتخضع لقواعد المنطق البلاغي المدروس، فبقيت هذه الحروف تتحدى كل محاولة بتغيير أو تقدير لحذف أو زيادة، منها مثلاً حرف الباء في مثل آية القلم: قال تعالى: ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ [القلم: 3]

(1) الجمل على الجلالين

(2) لطائف المنان وروائع البيان لفضل حسن عباس ص 109-110

ثم تقول:

وقد أحصيتُ من مواضع مجيء الباء في خبر ليس الصريح المفرد ثلاثاً وعشرين آية في مقابل ثلاث آيات فحسب جاء فيها خبر ليس غير مقترن بالباء، وهي آيات [النساء: 94، وهود: 8، والرعد: 43] ولها سياقها الخاص نتدبره بعد.

وكذلك خبر (ما) الصريح المفرد يأتي غالباً مقترناً بالباء المقول بزيادتها إلا إن ثلثي (م) النافية بالفعل (كان)، فينصب الخبر به صريحاً مفرداً غير مقترن بالباء⁽¹⁾.

ثم تخلص إلى ما يلي: وهو أن الآيات التي اقترن بها خبر (ما) بالباء جاءت في مقام الجحود والإنكار ﴿وَمَا هُمْ بِضَآئِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 102]

قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِبَلِغِهِ﴾ [الرعد: 14]

وقال تعالى ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: 22]

أما خلو الخبر من الباء فجاء في آيتين اثنتين في قوله تعالى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: 31] وقوله جلّ وعلا ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [المجادلة: 2]

ويلحظ أن خلو الخبر من الباء جاء أسلوب القصص في الجملة التي بعد، ففي الآية الأولى قال تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ وفي الآية الثانية قوله تعالى: ﴿إِنْ أُمّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ﴾ وهذا ملحظ بياني موفق يستند إلا الحس القرآني، وسر الحرف فيه.

(1) الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ص 168.

أما خبر ليس، فجاء غالباً مقترناً بالباء إلا آيات ثلاث جاءت خالية من الباء وهي قوله سبحانه: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ [النساء: 94]، ﴿ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ ﴾ [هود: 8]، ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ﴾ [الرعد: 43].

وهناك أغراض بيانية دعت لترك الباء في هذه الآيات الثلاث، فقد يكون المقام في حاجة إلى تأكيد قبل نفي الخبر، كما ترشد إليها آية النساء ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ [النساء: 94].

وقد يغني عن تقرير النفي بالباء التعقيب على الجملة الخبرية بما يحقق وقوعها بحيث ينقلها من غيب إلى ماضٍ تحقق وقوعه كآية هود التي جاء بعدها: ﴿ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [هود: 8].

وقد يكون من أغراض ترك هذه الباء عدم تيقن المتكلم مما يقول كما في آية الرعد: قال تعالى ﴿ لَسْتَ مُرْسَلًا ﴾ فهم يقولون هذا، ولكن نفوسهم غير موقنة به، ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ ثَابَتَ إِلَهُ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام: 33].

هذا كله في خبر ليس التي لم تسبقها همزة الاستفهام، أما التي سبقتها همزة الاستفهام فإنها جميعاً جاءت مقترنة بالباء لأنها جميعاً ينتقض فيها النفي إلى إثبات وتقدير، قال تعالى ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ [الزمر: 36] ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف: 172] ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴾ [التين: 8] ذلك لأن وجود الباء هنا وفي هذا المقام - مقام الإثبات والتقدير بعد انتقاض النفي - أمر لا بد منه.

وقد أطالت الكلام في هذه القضية وقد وفقت فيه أيما توفيق..

ونلخص بعد ذلك كله: إلى أن ما يجمع النحاة والمفسرون من أن الباء زيدت للتأكيد قول تُعَوِّزُهُ الدقة في الأسلوب القرآني، لا يشفي غليلاً، ولا يكفي دليلاً، وإلا فلماذا ذكر في بعض الآيات دون بعض؟! ذلك مما يجعلنا أكثر ميلاً من قبول ما قالوه إلى الرفض والله الهادي إلى سواء السبيل.

المبحث الثالث: حرف اللام (1)

وقد ادعوا زيادة هذا الحرف في آيات كثيرة، والمعنى النظر في هذه الآيات يجد أن أمر الزيادة بعيد، اللهم إلا إذا تحكم في تغيير اللفظ متحكما أو تمحل في استنباط المعنى متمحلا ومن هذه الآيات.

الآية الأولى:

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الدِّينِ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [النساء: 26]

وهي تقرر أن الله تعالى جلّ جلاله، يريد ما أراد من إنزال لهذا القرآن؛ ليعين لنا، ويهدينا فالعلة من الإنزال هي البيان.

الآية الثانية:

﴿وَأْمَرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 71]

فنحن أمرنا بما أمرنا من التكليف والفرائض لأجل أن نسلم ونخضع، فلا تتصور زيادة اللام في هذه الآية الكريمة.

الآية الثالثة:

﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس: 57]

ذكروا⁽²⁾ أن اللام زائدة، والتقدير: وشفاء ما في الصدور.

ولكن الذي نراه ونستأنس له بأقوال كثيرين من المفسرين أن لا زيادة، إنما اللام المتعلقة مصبغة الشفاء، أي شفاء كائن وثابت للأمراض التي في الصدور وهذا أليف لا من حيث المعنى فحسب بل من حيث النظم كذلك. ويبان ذلك أننا نجد

(1) لطائف المنان وروائع البيان: فضل عباس. ص 132.

(2) الجمل على الجلالين (351/2).

أن النظم لا يخص اللفظ وحده، وإنما صلته بالمعنى مثل صلته باللفظ - كما تقدم من قبل - ولعل المتأمل يجد الفرق واضحاً بين أنه يقال: صديقك، وصديق لك، شفاءً وشفاءً لك. وأخوك وأخ لك. فهذه اللام جاءت لتعطي معنى التخصيص فلو قيل شفاء ما في الصدور فإنها تدل على أنها شفاء، ولكن لا مانع من أن يكون غيرها كذلك شفاء، أما: ﴿شفاء لما في الصدور﴾، كما جاء في النظم القرآني الكريم، إنها تدل على أمر آخر وهو أن أمراض الصدور ليس لها شفاء، كهذا القرآن، فمهما تعددت الأدوية فإنها جميعاً لا تغني عن هذا القرآن، هذا ما تعطيه اللام التي سموها بالزيادة.

المبحث الرابع: الحرف (من) (1)

الآيات التي ذكروا فيها زيادة (من)، إذا نظرنا فيها نظرة فاحصة فسنذكر أن القول بالزيادة لا يقوم على أساس أبدأ، وستقسم الحديث عنها إلى مطلبين.

المطلب الأول: ما لا يندرج تحت قاعدة معينة.

المطلب الثاني: (من) الاستغراقية.

المطلب الأول:-

ما لا يندرج تحت قاعدة معينة.

الآية الأولى:

قال تعالى: ﴿ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴾ [البقرة: 266]

رويت الزيادة عن الأخفش. قال أبو البقاء. ...
ولا يجوز أن تكون (من) زائدة. لا على قول سيويه، ولا على قول الأخفش؛ لأن المعنى بصير: فيها كل الثمرات، وليس الأمر على هذا، إلا أنه يراد به هذا الكثرة، لا الاستيعاب فيجوز عند الأخفش، لأنه يجوز زيادة (من) في الموجب.

و(من) هنا للتبويض، أي بعض من أجناس الثمر ولا يعقل أن تكون (من) زائدة لأنه لا يمكن أن يكون له كل الثمر.

الآية الثانية:

﴿ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ [البقرة: 271]

(1) لطائف المنان وروائع البيان: فضل عباس ص 148.

(من) هنا للتبعض كذلك، ذلك لأن هناك سيئات لا تكفر بالصدقة وحدها وهو ما تدل عليه الآية الكريمة ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [البقرة: 271]، وقد جاء في الحديث الشريف أن هناك سيئات لا تكفرها الصلاة ولا الصدقة.

الآية الثالثة:

﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النحل: 14]

فإن (من) فيها كذلك تبعية؛ لأننا نبتغي بعض فضل الله، وكل يطلب ما تدعوا إليه حاجته، فالناس مختلفون في ذلك فلا يعقل إذن أن تكون من زائدة إذا فهمنا الآية الكريمة فهماً صحيحاً.

المطلب الثاني: (من) الاستغراقية⁽¹⁾؛

وهي التي تجيء للتخصيص على العموم، وذلك كقولنا: ما جاءني من رجل، فإنه يحتمل أنه لم يجئه أحد البتة أو أنه جاءه رجلان أو رجال، أو لتوكيد العموم، كقولنا: ما جاءني من أحد، فإنها لا تحتمل ما احتملت عليه الأولى، وذلك لأن كلمة أحد تدل بلفظها على العموم⁽²⁾.

وقد ذكرت كثيراً في كتاب الله تعالى، وإذا أردنا أن نستقرئ الآيات التي ذكرت فيها (من) هذه، فإننا نجد أنها من الكثرة بحيث يمكننا الجزم بأن هذه الظاهرة الأسلوبية في كتاب الله تعالى إنما جاءت لقصد وهدف، مما يجعلنا نؤكد أن القول بالزيادة أمر متعذر ولا يمكن قبوله.

(1) لطائف النان وروائع البيان: فضل عباس. ص 158.

(2) مغني اللبيب: لابن هشام (1/322).

وإذا أردنا أن نقف مع بعض الآيات الكريمة، فسنجد أن ما تعطيه من معنى وما تلقيه من ظلال، وما تصوره مما في أعماق النفس، سنجد أن هذه أمور جوهريّة، لا تتفق من حيث المنطق العلمي البياني مع القول بالزيادة والخضوع للصنعة الإعرابية.

لنأخذ مثلاً قول الله تبارك وتعالى ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: 105]، وقوله سبحانه ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ [يوسف: 51]، وقوله تبارك وتعالى : ﴿فَأَلْقُوا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ [النحل: 28]

إن ما تعطيه هذه الآيات الكريمة من دقة المعنى ومن شمول واستغراق لا يتم بدون هذا الحرف.

1. فالكافرون لا يحبون أن ينزل على المسلمين أي خير مهما كان ضئيلاً نوعاً ومقداراً.

2. وكذلك النسوة يردن أن يبرئن يوسف عليه السلام من أي سوء، حتى لو كان ذلك النوع المتسامح فيه من حيث السعادة كالنظرة المختلصة.

3. وكذلك الكفار يوم القيامة يريدون أن ينفوا عن أنفسهم أي عمل فيه أدنى سوء، هذا من جهة.

ومن جهة ثانية، فإن العمق النفسي الذي نفهمه بواسطة هذا الحرف أو إن الصورة النفسية التي تظهر بواسطة هذا الحرف أمر يجلب عن الوصف.

وإذا كان الزائد ما لا فائدة فيه، أو ما يتم المعنى بدونه فإن الحرف هنا أبعد ما يكون عن الزيادة، أما إذا كان الزائد ما تقتضيه الصنعة الإعرابية، فمع كونه غير

مقبول، فإن الإعراب فرع المعنى فإذا كانت الكلمة عمدة وجوهرية من حيث المعنى، فمن غير المقبول أن تكون فضلة وزائدة من حيث اللفظ.

المبحث الخامس: الحرف (عن)

قال أبو عبيدة عند قوله تعالى ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾ [النور: 63] مجازه مخالِفون أمره سواء، وعن زائدة⁽¹⁾.

والمفسرون اللغويون غير أبي عبيدة والأخفش ومن ردّد قولهما على غير ذلك أي على أن (عن) (ليست) زائدة.

قال ابن جرير عن تفسيره هذه الآية:

وَأَدْخَلْتُ عَنْ لَأَنْ مَعْنَى الْكَلَامِ: فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يَلُودُونَ عَنْ أَمْرِهِ وَيَدْبُرُونَ عَنْهُ مَعْرُضِينَ⁽²⁾.

وإلى قريب من هذا ذهب أبو البقاء، وذكر الشيخ الجمل في حاشيته على تفسير الجلالين⁽³⁾.

هذا القول، وزاد قولاً آخر وهو أن (يخالفون). بمعنى يصدون، والمفعول محذوف أي يصدون الناس عن أمره، وما نظن أن هناك حاجة لمثل هذا فمتى كان الأمر خالياً من الحذف والتقدير كان أولى.

والخلاصة:-

إن القول بالزيادة إنما نقل عن الأخفش وأبي عبيدة، وجمهور العلماء يردونه⁽⁴⁾ والذي يظهر لي بعد ما قالوه، وبعد نقل هذه الأقوال عنهم: أن مجيء

(1) مجاز القرآن، والبحر المحيط (477/6)، إملاء ما من به الرحمن للعبكري (84/2)، البرهان للزركشي (286/4).

(2) تفسير الطبري (135/18).

(3) (243/3).

(4) لذلك ذكر الشيخ القول بالزيادة بعد القولين السابقين تضعيفاً له.

(عن) في الآية الكريمة لنكتة دقيقة، وعرض بياني، وهو التحذير من مخالفة أي أمر مهما رق، لأننا حينما نقول: يخالفون عن أمره، فكأنه يعني: لا ينبغي أن يتزحزحوا عن هذا الأمر، ولو قيد أنملة.

هذا المعنى لا يتم بدون هذه الكلمة التي وصفها قوم عفا الله عنهم بالزيادة.

المبحث السادس: الحرف (في) (1)

وقد ادَّعوا زيادة هذا الحرف في أربع آيات كريمة والممعن النظر في هذه الآيات يجد أن أمر الزيادة بعيد، اللهم إلا إذا تحكم في تغيير اللفظ متحكما أو تمحل في استنباط المعنى متمحلا.

فقد عدّه بعضهم زائداً في الآيات الكريمة التالية:-

قال تعالى:

﴿ وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرسِنُهَا ﴾ [هود: 41]

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾ [الكهف: 54]

﴿ وَأَصْلَحَ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ﴾ [الأحقاف: 15]

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين: 4]

ونظن أن القول بالزيادة لم يكن إلا ضرباً تمحل وتكلف، لذلك فإننا نجده متأخراً لم يُعرف عند المتقدمين من اللغويين والمفسرين، وإنما ذكره بعض النحاة المتأخرين كما نقله أبو حيان في بحره دون أن يُنسبه لأحد، ولا ندري ما الذي حملهم على القول بالزيادة.

الآية الأولى:

أمر الزيادة في هذه الآية بعيد، بل لا يستقيم الأمر بدون هذا الحرف بل هو مخالف للتنزيل، فنحن نقراء مثلاً قول الله تعالى: ﴿ أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ الْاُنْتَيْنِ ﴾ [هود: 41] ولم يقل عليها، كما نقراء ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي

(1) لطائف المنان وروائع البيان.

الْجَارِيَةِ ﴿ [الحاقة: 11] ولم ترد كلمة (على) إلا في شأن نوح عليه السلام، وذلك في سورة القمر في قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتٍ أَلْوَحٍ وَدُسرٍ﴾ [القمر: 13] ولا بد أن نقف عند هذا السر القرآني الرائع، وهو أنه حينما كان الحديث عن الناس عُدي الحمل بـ (في)، قال تعالى: ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴾ وقال تعالى: ﴿ احمِل فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنين ﴾ ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتٍ أَلْوَحٍ وَدُسرٍ﴾ لما في ذلك من التشريف له، والتنويه بشأنه.

ومع ذلك جاءت كلمة الحمل مسندة إلى الله تعالى، لا كلمة الركوب، فمن البديهي أن يفرق في اللفظة بين ركوب السفينة وركوب الدابة، قال تعالى: ﴿ وَالْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرَ لَنَتَرَكَبُوها ﴾ [النحل: 8] فقد عُدي الركوب بنفسه دون حرف جر، أما ركوب السفينة فقد عُدي بحرف الجر (اركبوا فيها)؛ ذلك لأنهم إنما ساروا في هذه السفينة وحملها فيها فهي ظرف لهم.

والى قريب من هذا ذهب الإمام الرازي في تفسيره حيث قال:

وأيضاً يجوز أن تكون فائدة هذه الزيادة وأنه أمرهم لأن يكونوا في جوف الفلك. لا على ظهرها، فلو قال: اركبوا، لتوهم أنه أمرهم أن يكونوا على ظهر السفينة. لكن أبا السعود - رحمه الله - لم يرتضِ هذا القول حيث قال:

والركوب: العلو على شيء متحرك. ويتعدى بنفسه، واستعماله هنا بكلمة (في) ليس لأن المأمور به كونهم في جوفها لا فوقها كما ظُن، فإن أظهر الروايات أنه عليه السلام جعل الوحوش ونظائرها في البطن الأسفل، والأنعام في الأوسط وركب هو ومن معه في الأعلى⁽¹⁾.

(1) تفسير أبي السعود (22/3).

وهذا الذي قاله - عفا الله عنه - لم يرد به خبر صحيح، ولا رواية يُعَوَّلُ عليها فلا ينبغي أن نعدل عن لغته بيانية نستشفها من الآية الكريمة من أجل روايات إسرائيلية لا يجوز أن تجعل أصلاً في فهم آيات الذكر الحكيم.

الآية الثانية:

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الكهف: 54]

ويقال فيها ما قيل في الآية التي قبلها، فالتصريف للناس إنما هو في القرآن الكريم، وليس تصريف القرآن نفسه لأن القرآن هو محل الوعد والوعيد والقصة والحكمة والمثل والعظة وكيف يكون حينما يسقطون هذا الحرف الزائد في ادعائهم ويقال: ولقد صرفنا هذا القرآن. يقيني أن ذلك بعيد عن الذوق ولا يرتضيه.

الآية الثالثة

﴿وَأَصْلَحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ [الأحقاف: 15]

سامح الله القائلين بالزيادة، فقد قاسوا هذه الآية على قوله تعالى ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ [الأنبياء: 90].

وشتان بين الآيتين فإصلاح الزوج هنا تهيئتها بعد كبرها للحمل والولادة، وكذلك قيل: وأصلح لي في ذريتي. لكان المعنى أن تجعل الذرية محلاً وموقعاً للإصلاح. وليس الأمر كذلك في الآية التي معنا ﴿وَأَصْلَحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾؛ لأن معنى الآية أن يكون الإصلاح شأن هذه الذرية يشمل أمورها جميعاً لا يخص أمراً دون آخر.

واستأنس لهذا بما ذكره الأئمة من المفسرين؛ القاضي ناصر الدين البيضاوي والشهاب الخفاجي، والشيخ زادة في حاشيتهما على البيضاوي، والشيخ الجمل علي الجلالين.

قال الله تعالى: ﴿ وَأَصْلَحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ﴾، أي اجعل لي الصلاح سارياً في ذريتي راسخاً فيهم، وعُدِّي (في) لتضمنه معنى اللطف أي: اللطف بي في ذريتي أو هو نزل منزلة اللازم، ثم عدِّي بـ (في)؛ ليفيد سريان الصلاح فيهم وكونهم كالظرف له لتمكنه فيهم⁽¹⁾.

الآية الرابعة:

قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين: 4]

والأمر فيه أظهر مما سبق؛ لأن الذين تمحلوا⁽²⁾ زيادة (في)، قدروا الآية هكذا لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم، وفسروا الخلق بالتقويم أي: لقد قوّمنا الإنسان أحسن تقويم. ونحن نعلم أن هذا التفسير باطل؛ لا يتناسب مع موضوعية القرآن، ولا يتفق مع دقة ألفاظه ومعانيه، فنحن نعلم أن القرآن يفرق بين الخلق والتصوير والتسوية والتعديل، ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴾ [الأعراف: 11].

﴿ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرُّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ

فَعَدَّلَكَ ﴿ [الانفطار: 6، 7]. فنرى أن هذه المعاني جاء معطوف بعضها على بعض بغير الواو أفليس من التمحل و التكلف بعد هذا أن تفسر الكلمة بغير معناها الذي هو لها .

وأن يترتب على هذا التفسير القول بزيادة كلمة لا يستقيم المعنى بدونها ؟ فإن (في) وما بعدها في موضع النصب على الحالية: أي خلقناه حال كونه في أحسن قوام وأفضل صورة، يختلف عن غيره من المخلوقات.

(1) الجمل على الجلالين (4/ 129).

(2) إملاء ما من الرحمن (2/ 156)، الجمل على الجلالين (4/ 549).

المبحث السابع: حرف الواو

لم يكن حظ الواو بأقل من غيرها عند دعاة الزيادة، فلقد ذكروا نيفاً وعشرين آية ولكن التكلف والتمحُّل ظاهران فيما ذكروه، وإن التحمُّل الإعرابي واضح كل الوضوح كما سنرى إن شاء الله، ومن هذه الآيات.

الآية الأولى:

ومما عدوه⁽¹⁾ زائداً قوله تعالى ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى﴾ [هود: 74].

ما نظن الكلام بحاجة أن يُردَّ عليه، لأنه ليس المقصود أنه لما ذهب عن إبراهيم الروع جاءته البشرى، إنما الذي يقتضيه النظم الكريم لما ذهب عن إبراهيم الروع جاءته البشرى؟ أثلج صدره وطمأنت نفسه، وأخذ يجادلنا في قوم لوط. فما أبعد الواو في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى﴾ عن الزيادة.

بيان ذلك أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام حينما جاءته الملائكة نكروهم وأوجس منهم خيفة، ولكنهم آنسوه، ويئسوا أنهم جاءوا لإهلاك قوم لوط، وبشروه بغلام فحصل لإبراهيم عليه الصلاة والسلام مسرتان اثنتان:

الأولى: ذهاب الروع حينما عرفهم ملائكة.

الثانية: البشرى بغلام وهو شيخ وامراته عجوز.

هما أمران - إذن - والقول بزيادة الواو لا ينسجم مع هذا التعبير؟ لأنه يجعل أحدهما - وهو مجيء البشرى - مرتباً على ذهاب الروع، وليس هذا ما يقصده القرآن، والله أعلم.

(1) الأشباه والنظائر للإمام السيوطي (13/4).

الآية الثانية:

ومثل هذا ما جاء في السورة نفسها قال تعالى ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ﴾ [هود:66]

التقدير عندهم: نجينا صالحاً برحمة منا من خزي يومئذ.

وقولهم⁽¹⁾ بالزيادة هنا كذلك تكلف وتمحل؛ لأنه ليس المقصود نجينا صالحاً من خزي يومئذ، وإنما أنجيناهم برحمة منا ونجيناهم من خزي يومئذ. هما كرامتان إذن لصالح عليه السلام ومن معه:

الأولى: إكرامهم برحمة من الله.

والثانية: نجاتهم من الخزي في ذلك اليوم.

وهذا أعظم في الإنعام من أن يقال: نجيناه من الخزي؛ لأنها حينذاك تكون نعمة واحدة، أما نظم الآية الكريمة فيبين أنهما نعمتان اثنتان، إحداهما معنوية وهي الإكرام، والثانية مادية، وهي التنجية من العذاب.

(1) الجمل على الجلالين (2/402).

الفصل الخامس

من علماء الإعجاز

ويندرج تحته أربعة مباحث:-

المبحث الأول: الإمام الباقلاني.

المبحث الثاني: القاضي عبد الجبار الهمداني.

المبحث الثالث: الإمام عبد القاهر الجرجاني.

المبحث الرابع: الإمام محمود بن عمر الزمخشري.

المبحث الأول: الإمام الباقلاني

المطلب الأول: الباقلاني:-

هو محمد بن الطيب بن محمد، أبو بكر، قاض من كبار علماء الكلام انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة، وُلد عام 338هـ وتوفي عام 403 هـ.

المطلب الثاني: كتاب إعجاز القرآن للباقلاني:

والباقلاني إمام من أئمة المتكلمين، وشيخ من شيوخ الأشاعرة، ولقد جمع إلى هذا كثيراً من جوانب المعرفة، وكتابه يدل بحق على علو كعب الرجل، ورسوم قدمه، وطول باعه، وسعة إطلاعه، فضلاً عن أنه إمام من أئمة علم الكلام فهو كذلك إمام من أئمة اللغة أدباً وشعراً وبلاغة ونقداً.

كتب الباقلاني إعجاز القرآن، وغيره من الكتب الكثيرة، مدافعاً عن حرمة الدين، ذاباً عن الكتاب والسنة، راداً كل ما يجده مما يلقيه خصوم الإسلام من شبهات ومما يوحون به من شكوك، ومما ينفثونه من ترهات وأباطيل، ومن كتبه ذات الشأن والقيمة غير كتاب إعجاز القرآن، التمهيد، والاتصار، ولقد كان الرجل مع سعة علمه لسناً قوي العارض في الحجاج، يدل على ذلك سيرته مع خصومه .

و لن نعدو الحقيقة إذا قلنا أنه لم يشتهر كتاب في الإعجاز كإعجاز القرآن للباقلاني، فلقد ظلّ هذا الكتاب على مدى القرون البالغة المرجع الوحيد لهذه المادة، بل إن كثيراً من المختصين بالدراسات القرآنية لم يعرفوا غير هذا الكتاب .

اشتمل كتاب الباقلاني على موضوعات متعددة بعضها جوهرية في قضية الإعجاز وذلك كوجوه إعجاز القرآن، و كونه معجزة النبي - صلى الله عليه وسلم - والتحدي به وبعضها بعيد عن قضية الإعجاز لا يتصل بها إلا من سبب

بعيد كحديثه عن نقد الشعر وتحليله لكثير من القصائد الشعرية⁽¹⁾، وموازنته بين أسلوب القرآن الكريم، وبعض خطب النبي -صلى الله عليه وسلم- وللصحابة وغيرهم رضوان الله عليهم .

وبعضها وسط بين هذا وذاك يتصل بموضوع الإعجاز، وذلك كحديثه عن السجع ونفيه من كتاب الله تبارك وتعالى، كما أن حديثه عن الإعجاز نجده تارة ذا طابع أدبي بياني وتارة أخرى ذا صبغة كلامية تتصل بنظرات المتكلمين وأساليبهم⁽²⁾ .

وجوه إعجاز القرآن عند الباقلاني:

يذكر الباقلاني بأن وجوه الإعجاز كما قال به أصحابه -يعني الأشاعرة - تظهر من جهات ثلاث:

1. أخبار الغيب التي أخبر عنها القرآن قبل أن تحدث .

2. الأخبار عن الأمم الماضية مع أمية الرسول (ﷺ).

3. نظمه البديع⁽³⁾ .

و يفصل الباقلاني فيما بعد هذه الوجوه؛ فالإخبار بالغيب في مواقع كثيرة ومواقع متعددة، وأما عن أنباء الأمم السابقة مع أمية الرسول عليه الصلاة والسلام فإنه يدل على الإعجاز، لأن هذه الأخبار الصادقة لا تكون إلا ممن عرف التاريخ واستوعب أنباء الأمم السابقة، والنبي -صلى الله عليه وسلم- باتفاق لم يكن شأنه كذلك .

والباقلاني كان أكثر تفصيلاً في الوجه الثالث بل إن كتابه يكاد يكون مبنياً على هذا الوجه، وهو كون القرآن بديع النظم عجيب التأليف، مُتَنَاهٍ في البلاغة⁽¹⁾ .

(1) كمعلقة امرؤ القيس، وقصيدة البحري: أهلاً بذككم الخيال المقبل .

(2) إعجاز القرآن الكريم لفضل حسن عباس وسناء فضل عباس. ص 52، 53.

(3) إعجاز القرآن ص. 13.

المبحث الثاني

المطلب الأول: القاضي عبد الجبار الهمداني⁽²⁾:

عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني الأسد آبادي، أبو الحسين، قاض، أصولي، كان شيخ المعتزلة في عصره، ويلقب قاضي القضاة، توفي عام 415هـ، له من الكتب: تنزيه القرآن عن المطاعن .

المطلب الثاني: ذكر فكرة عن كتاب المغني في أبواب التوحيد والعدل والقاضي الهمداني من أئمة المعتزلة بخاصة، والمسلمين بعامة، تأثر القاضي بشيوخ الاعتزال وبخاصة أبا علي وأبا هاشم، وإن لم يتلق عنهما مباشرة، وهو كثيراً ما ينقل عنهما وعن غيرهما كأبي الهذيل العلاف والذي يهمننا من آثاره الكثيرة القيمة حديثه عن إعجاز القرآن في سفره الضخم المغني في أبواب التوحيد والعدل، فانت حينما تتصفح الجزء السادس عشر من هذا الكتاب، وهو مجلد يشتمل على مئات الصفحات تجد أن جله في الحديث عن الإعجاز.

عرض القاضي عبد الجبار في هذا الجزء لقضايا متعددة، فقد تحدث عن الخبر وما يتصل به، ثم تحدث عن الرسالة والرسول، وعن التواتر الذي ثبت به القرآن. وقد بين لنا المراد من كلمة (الإعجاز) حين قال: ومعنى قولنا في القرآن أنه معجز أنه يتعذر على المتقدمين في الفصاحة فعل مثله في القدر الذي اختص به⁽³⁾.

(1) إعجاز القرآن: لفضل وسناء عباس ص53، 54.

(2) من كتاب إعجاز القرآن الكريم: فضل وسناء عباس ص60.

(3) ص226.

ويتحدث عن الفصاحة، فيبين أن الكلام يكون بجزالة لفظه وحسن معناه، ولا بد من اعتبار هذين الأمرين، لأنه لو كان جزل اللفظ ركيك المعنى لم يعد فصيحاً، لا تظهر في الكلمات المفردة، وإنما يضم هذه الكلمات بعضها إلى بعض، ويذكر جهات ثلاث لا رابع لها، تظهر بها فصاحة الكلام:

الجهة الأولى: اختيار الكلمة نفسها.

الجهة الثانية: حركة هذه الكلمة من حيث الإعراب.

الجهة الثالثة: موقع هذه الكلمة تقدماً أو تأخيراً، وتعريفاً أو تنكيراً، إلى غير ما هنالك من أساليب.

المبحث الثالث

المطلب الأول: عبد القاهر الجرجاني:

عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، واضع أصول البلاغة كان من أئمة اللغة، وله شعر، من كتبه: أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز، والجمل في النحو، والمغني في شرح الإيضاح، توفي عام 471 هـ .

اقتضت مشيئة الله سبحانه وتعالى أن يختلف الناس في مواهبهم وقدرهم، ففي مختلف العصور نجد من الناس من هباً الله لهم وسائل الإبداع فهم يسبقون غيرهم، مما يحمل أبناء العصر كل منهم على الاعتراف لهؤلاء، ولقد كان عبد القاهر - رحمه الله - من هذه الصفوة الذين برزوا، فكان ما أنتجه فكره وسطر براعة إبداعه، اعترف له به المتصفون، وما أبعد الفرق بين الذاكرة الحافظة التي تحفظ أقوال السابقين، وبين العقلية المبدعة المفكرة التي تفيد من السابقين، ولكنها تبرز جديداً يكون مثار الإعجاب، وشغل الباحثين يجددون فيه الجد والإبداع.

لعل عبد القاهر كان أقل إنتاجاً من كثير من معاصريه ومن سبقوه، ومن جاءوا بعده وهذا إذا راعينا الجانب الكمي، ولكن الجانب الكمي وحده لا يغني كبير غناء في كثير من الأحيان.

كان عبد القاهر - رحمه الله - متكلماً أشعرياً، وكان إماماً في اللغة والنحو والأدب والبيان والنقد، وهي معارف يتصل بعضها ببعض، وكان له نتاج جيد يعيننا منه ما يتصل بإعجاز القرآن الكريم ومن أبرزها الرسالة الشافية ودلائل الإعجاز.

المطلب الثاني:

الرسالة الشافية: وهي جزء صغير عرض فيها لبعض القضايا الأولى التي تتصل بالإعجاز، حيث أثبت عجز العرب عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بسورة منه وناقش فيها القائلين بالصرقة، كل ذلك بأسلوب قوي متين، وقد أشار إلى ذلك في مقدمة رسالته، ولكنه لم يتعرض في هذه الرسالة إلى ما يكون به الإعجاز.

أما ما يكون به الإعجاز - كما يراه - فقد أفرد له كتابه (دلائل الإعجاز) وهو الذي ضمته نظريته في النظم.

وكتاب دلائل الإعجاز كان فيه جانب عملي وهي الفصول التي كتبها عن التقديم والتأخير والحذف والذكر، والفصل والوصل، والتعريف والتكثير، والتأكيد والفروق بين الخبر والقصر، إلى غير ذلك من فصول. وفي هذه الفصول⁽¹⁾ كلها بذكر تطبيقات عملية من آيات القرآن الكريم أو من الشعر الجيد ليرهن على أن النظم هو الذي يرجع إليه فضل الكلام.

المطلب الثالث: نظرية النظم:

لا بد قبل شرح هذه النظرية من أن نعرف بأن الناس كانوا قبل عبد القاهر وفي عصره فريقين: فريقاً شغف باللفظ ورأى أنه هو الأمر الذي يتفاضل به الكلام، فكان يجهد نفسه في اختيار الكلمات وتنقيتها.

والفريق الآخر رأى أن الفضيلة للمعنى، وأن الألفاظ هي القوالب التي توضح فيها المعاني.⁽²⁾

ويجيء عبد القاهر - رحمه الله - ويقف أمام هذين الفريقين أنصار المعنى وأنصار اللفظ، وبعد أن هضم كثيراً من أنواع المعارف التي كانت في عصره وبخاصة

(1) كتاب إعجاز القرآن الكريم لفضل وسناء عباس ص 65

(2) من كتاب إعجاز القرآن الكريم لفضل وسناء عباس ص 66

النحو والأدب والبيان، وكُتِبَ في إعجاز القرآن، ليرز للناس نتيجة لهذه الدراسات كلها نظريته في النظم.

المبحث الرابع

المطلب الأول: الإمام محمود بن عمر الزمخشري⁽¹⁾.

محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الزمخشري (جار الله) أبو القاسم من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والأدب، سافر إلى مكة فجاور بها زمناً فلقب بحار الله، ولد عام 467 هـ وتوفي عام 538، من كتبه: تفسير الكشاف الفائق في غريب اللغة المستقصى في الأمثال وغيرها.

لقد كان فضل الله عظيماً أن قيّض لكتابه أئمة أعلاماً يبرزون عرائس الإعجاز بأثواب قشبيه، ومظاهر خلافة جذابة، لقد كان فضل الله عظيماً أن قيّض لنا مثل الزمخشري، يطبق هذه النظرية تطبيقاً عملياً تفصيلاً في تفسير كتاب الله تعالى تفسير الكشاف.

لقد كان الزمخشري بحق عالماً المعياً، وجهبذاً أحوذياً، هضم نظرية عبد القاهر في النظم، واستثمرها استثماراً تاماً في تطبيقها على أي الذكر الحكيم وظهر ذلك جلياً في الكشاف كما قلت، بل زاد عليها كثيراً مما جادت به قريحته وأنتجه فكره، وسنضرب بعض الأمثلة التي أفادها الزمخشري من نظرية عبد القاهر في تفسيره.

عرفتم من قبل أن كتاب دلائل الإعجاز كان فيه جانب عملي، وهي الفصول التي كتبها عن التقديم والتأخير والحذف والذكر، والفصل والوصل، والتعريف

(1) المرجع السابق نفسه .

والتنكير، وغير ذلك مما عرضنا له من قبل، ولنعيش مع الزمخشري، وهو يشرح لنا هذه الفصول شرحاً عملياً في تنزيلها على الآيات الكريمة.

(1) عند قوله سبحانه ﴿ذَلِكَ الَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 2]

يتساءل الزمخشري: لِمَ قدم الريب في هذه الآية الكريمة؟ وهو اسم (لا) النافية للجنس على الجار والمجرور، بينما جاءت آية أخرى على عكس ذلك فتقدم فيها الجار والمجرور، وهي قوله سبحانه في وصف خمر الجنة ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ يُنْزَفُونَ﴾، فهو يفيد بما ذكره عبد القاهر في التقديم والتأخير فتقديم الخبر على المبتدأ يفيد التخصيص، لذلك جاء نظم كل من الآيتين متفقاً ومنسجماً مع المعنى الذي تحدثت عنه كل منهما.

فقوله تعالى ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ كل الذي يفيد نفي جنس الريب عن القرآن الكريم دون التعرض لغيره من الكتب، إذ لو قال ﴿لَا فِيهِ رَيْبٌ﴾ لكان المعنى نفي الريب عن القرآن وإثباته لغيره من الكتب الأخرى، وهذا غير مراد هنا .

أما قوله ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ فالمقصود منه شيء آخر، إذ للقرآن هنا هدفان اثنان: نفي الغول عن خمر الآخرة وهو ما فيها من ضرر، وهذا هو الهدف الأول، أما الهدف الثاني فهو إثباته في خمر الدنيا ولو قال ﴿لَا غَوْلَ فِيهَا﴾ لم تفد إلا شيئاً واحداً وهو نفي الغول عن خمر الآخرة.

فهناك فرق في قولنا مثلاً: (لا ضجة في الحجرة المجاورة) وقولنا (ليس في الحجرة المجاورة ضجة).

(2) عند قوله سبحانه: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ

الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 5]، يتساءل الزمخشري، لم وسطت الواو في قوله تعالى

﴿أُولَئِكَ هُمْ﴾ ولكننا لا نجدُها في آية الأعراف ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: 179].

ويجيب الزمخشري بأن الواو وسطت في آية البقرة، لأن الجزءاء مختلف فللمتقين جزءان: صحة المنهج وهو قوله ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: 5] ثم الغاية والنتيجة وهي قوله ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 5]، فالأمران مختلفان، لذا جاء حرف العطف، أما آية الأعراف فليس فيها إلا شيء واحد، فإن كونهم كالأنعام بيان لغفلتهم، ولو أن الواو ذكرت في الآية فقال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: 179]

كما جاءت آية البقرة، لترتب عليه أمر محال، وهو أن الأنعام ليست غافلة، وهذا ما بينه عبد القاهر بياناً شافياً في حديثه عن الفصل و الوصل .

(3) عند قوله سبحانه: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: 15] بين الزمخشري حكمة مجيء الخبر جملة فعلية وهي ﴿يَسْتَهْزِئُ﴾ [البقرة: 15] وعند قوله سبحانه: ﴿وَكَلَبُهُمْ بَسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ - [الكهف: 18] بين الحكمة من مجيء الخبر اسماً.

أما الأولى: فلقد جاء الخبر جملة فعلية لأنه يدل على التجدد، وأما الثانية فلأن مجيء الخبر اسماً يدل على الثبوت، وهذا ما بينه عبد القاهر وهو يتحدث عن الفرق بين الخبر.

(4) عند قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 5] بين الزمخشري الحكمة من مجيء ضمير الفعل (هم) والحكمة من تعريف الخبر ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: 5] فضمير الفعل يؤتى به للتأكيد ولبيان أن ما بعده خبر لا صفة،

كما بين أن الهدف من التعريف الاختصاص أي هم المفلحون لا غيرهم.
وكل هذا مما عرض له عبد القاهر وأطال النفس فيه.

(5) وعند قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: 23]،
[24] يقول: فإن قلت: لم ترك المفعول غير مذكور في قوله ﴿يَسْقُونَ﴾ [القصص: 23] و﴿تَذُودَانِ﴾ [القصص: 23] و﴿لَا نَسْقِي﴾ [القصص: 23] و﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ [القصص: 24]؟ قلت لأن الغرض هو الفعل لا المفعول إلا ترى أنه إنما رحمهما لأنهما كانتا على الزيادة وهم على السقي، ولم يرحمهما لأن مزودهما غنم ومسقيهما إبل مثلاً، وكذلك قولهما ﴿لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ [القصص: 23] المقصود به السقي ليس المسقي⁽¹⁾.

وقد ذكر هذا الإمام عبد القاهر، وبين أن المفاعيل حذفت من الأفعال الأربعة؛ لأن الغرض أن يعلم أنه كان من الناس في تلك الحال سقي، ومن المرأتين ذود وأنهما قالتا لا يكون منا سقي، وأنه كان من موسى بعد ذلك سقي، أما ما كان المسقي أغناماً أم إبلأ فخارج عن الغرض، ولو قال (تزودان غنماً) لظن أن موسى عليه الصلاة والسلام لم ينكر عليهما الذود من حيث هو ذود ولكنه أنكر عليهما أن تذود أغناماً، ولو ذادتا يقرأ لما أنكر ذلك⁽²⁾.

(1) الكشف: للإمام الزمخشري (1/ 45).

(2) الدلائل: للإمام الجرحاني ص 161.

وهكذا نجد أن الزمخشري يعيش مع نظرية عبد القاهر في تفسير الكشاف، بل لا يكتفي بذلك فبين لنا ألواناً من الإعجاز البياني. ولعلنا لا نغالي ولا نتجاوز الحقيقة إذا قلنا أن الإبداع في تقرير قضايا الإعجاز وقف عندما قدره عبد القاهر في نظريته، وطبقه الزمخشري في كشافه، و الذين جاؤوا من بعدهما لم يزدوا شيئاً ذا بال، إنما كان الذي ذكروه شرحاً أو اختصاراً، أو نقلاً وقد تظهر عليه سمات التكلف.

الفصل السادس

المحدثون و الإعجاز

المبحث الأول : إعجاز القرآن للرافعي .

المبحث الثاني : الإعجاز القرآني عند سيد قطب .

المبحث الثالث : الإعجاز البياني في القرآن - بنت الشاطئ .

المبحث الرابع : الشيخ محمد متولي الشعراوي .

المحدثون والإعجاز:

يحمل هذا العلم في كل زمن قوم ينفون عنه كل تحريف، ويميطون عن طريقه كل أذى، لذا رأينا للمحدثين في هذا العصر جهوداً طيبة مشكورة في موضوع الإعجاز، وإن كانوا قد أفادوا كثيراً ممن تقدمهم من العلماء، فلقد كان لكثير منهم ملحوظات جديرة بالتقدير، حرية بالتسجيل، ثم إن لكل عصر أسلوبه الذي يلائمه، وطريقته التي تناسبه، وسنعلمكم على نتائج هؤلاء لتقطفوا من جناهم، محاولين أن ندلل لكم هذه القطوف لتكون دانية إن شاء الله.

كان للأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده -رحمه الله- جهد لا ينكر في النهضة التفسيرية، وما يتصل بعلوم القرآن الكريم، ولغته وبلاغته، فلقد ظل كتاب عبد القاهر -رحمه الله- الدلائل والأسرار بعيدين عن متناول العلماء والأدباء المثقفين حقبة طويلة من الزمن حتى جاء الشيخ -رحمه الله- فحبيهما إلى المثقفين أو كان له حلقة علم في تدريستهما، كما كان له مجالس في جامع الأزهر لتدريس التفسير، وكان من نتائج ذلك كله هذه الجهود التي وجدناها في آثاره وآثار العلماء من بعده.

المبحث الأول: إعجاز القرآن للرافعي

المطلب الأول: كان أول كتاب ظهر في إعجاز القرآن الكريم للأستاذ مصطفى صادق الرافعي -رحمه الله- والرافعي منحة من منح الله لهذه الأمة في عصر كان الناس في أمس الحاجة إليه، فلقد وهبه الله قلماً ذاباً عن القرآن ولغته، أمام هجمات شرسة، وحقاً كان الرافعي كاتب العربية المدافع عنها، جعل الله منه في الأواخر كما جعل من حسنّان في الأوائل. كانت كتابته تتصف بالعمق في الأسلوب، مع سعة في الإطلاع، مع قوة في العرض، يزين ذلك كله عاطفة صادقة، وإحساس مرهف، وخيال خصب.

كان يرقى مع قارئه في سلم البيان ليصل به إلى السمو الأدبي 'ولتستمع إليه في هذه الكلمة الحية الموجزة المعبرة: 'عابوا السمو الأدبي بأنه قليل، ولكن الخير كذلك، وبأنه مخالف ولكن.. الحق كذلك، وبأنه محير ولكن.. الحسن كذلك، وبأنه كثير التكاليف، ولكن الحرية كذلك.

إن لم يكن البحر فلا تنتظر الدر، وإن لم يكن السحاب فلا تنتظر المطر وإن لم تكن شجرة الورد فلا تنتظر الورد، وإن يكن الكاتب البياني فلا تنتظر البيان.

والرافعي أديب، لم يقتصر أدبه على الشر وحده، بل كان كاتباً وشاعراً، وناقداً كذلك، وقليل أولئك الذين اجتمعت لهم هذه الصفات كلها، وكما كان الرافعي شاعراً وكاتباً له طابعه المميز في الشعر، وأسلوبه الواضح في الكتابة، فلقد كان أيضاً ناقداً له منهجه المستقل في نقده ولم يخرج نقد الرافعي عن الهدف العام الذي دار في إطار أدبه وهو: الذود عن حمى الدين واللغة العربية، ولقد أفاد الأدب العربي وأثرت، وانتفعت حقول الفكر وميادين الثقافة من جهود الرافعي في النقد إفادة غير محدودة، ولعل أنظم كتبه من حيث القيمة العلمية تاريخ أدب العرب ويتكون من ثلاثة أجزاء كان الجزء الثاني منه حديثاً عن القرآن الكريم، وهو أصل لكتاب الإعجاز فقد وسعه الرافعي وزاد ما شاء الله له، فكان كتابه إعجاز القرآن يحتوي على موضوعين منهما ذو شأن وخطر: أحدهما إعجاز القرآن والثاني البلاغة النبوية.

بدأ هذا الكتاب بكلمة رصينة جزلة عن القرآن الكريم، ثم تحدث عن علوم القرآن الكريم: نزوله وجمعه وقراءاته، وغير ذلك من موضوعاته، وأخذت هذه ما يقرب من نصف الكتاب، ثم تحدث عن معنى الإعجاز، وذكر جهود السابقين وعلق عليها، وبعد أن انتهى من ذلك كله أنشأ يتحدث عن الإعجاز كما يراه فبين باديء بدء أن القرآن الكريم معجز من جهات ثلاث:

1. من حيث تاريخه بين الكتب السماوية فهو كتاب محفوظ، ولم يطرأ عليه تحريف.

2. من حيث آثاره، فلم يعرف في الدنيا كتاب، كان أثره و لا يزال مثل هذا الكتاب المين.

3. من حيث حقائقه: وهي حقائق في مجالات متعددة، تعدد أنماط الحياة، ولكنها حقائق ليس فيها ثغرة يتسلل من خلالها زيغ أو زائغ ﴿وَأَنَّهُ لَكَتَّابٌ عَزِيزٌ﴾^(١) لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾
[فصّلت: 41، 42]

وبين الرافعي أنه ليس له غرض في هذا الحديث عن هذه النواحي الثلاث، وإنما غرضه في هذا الكتاب أن يتحدث عن إعجاز البياني، وهي الجهة الرابعة من جهات إعجاز هذا الكتاب.

وبين أن الفضل يرجع لهذا الكتاب في وحدة الأمة، وبخاصة وحدتها اللغوية ويتحدث في هذا الكتاب عن أسلوب القرآن ونظمه وغرابة أوضاعه التركيبية وهو وإن كان يلتقي في كثير من الحقائق مع كتبه الأقدمون، فإنه والحق يقال صيغ ذلك، كله بصيغة جديدة ببراعة بيانه وقوة أسلوبه، وجميل تصويره ونفث أحاسيسه، وصدق عاطفته، وشدة غيرته الإيمانية وسعة معرفته باللغة وأسرارها، فلقد هضم ما كتبه الأقدمون في موضوع اللغة على تعدد جهاته ونواحيه، ففي حديثه عن أسلوب القرآن يبين أنه لما كان الأسلوب، أسلوب كل كاتب إنما ينعكس عن مزاج صاحبه وكان القرآن كتاب الله تبارك وتعالى، أدرك العرب لأول وهلة حينما سمعوه أنهم مهما أتوا من حظ في أفانين الأساليب نظمها ونثرها، فسيظل أسلوب القرآن بعيداً عن متناول المستهم، ومن أن تطمع فيه عقولهم مهما بذلوا في ذلك من محاولات.

المطلب الثاني:

(1) في قوله تعالى ﴿ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ﴾ [البقرة: 221] كَتَبَ الرافعي (1):

(.. والآية التي طلبها صاحبك هي قوله تعالى ﴿ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ﴾ والمسيحيون مشركون، لأنهم يشركون مع الله ابناً له ويقولون ثالث ثلاثة، وإن قالوا إنهم غير مشركين، قلنا: فالقيد الآخر ﴿ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ﴾ والإيمان معروف عندنا، فانظر هذه العقيدة في الآية)

(2) في قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ﴾ [آل عمران: 67] وقوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النساء: 125] كَتَبَ الرافعي (2):

.. إن معنى الحنيف إنما هو الذي مال عن الشرك والتشبه والتجسيد مما يزعمه اليهود والنصارى والمشركون. والحنف في اللغة: الميل، وكان العرب يقولون في كل من تعبد واعتزل الأوثان: إنه تحنف، وكل من حج واستقبل البيت سَمَّوه حنيفاً، لأنه بيت إبراهيم، ثم توسع الإسلام في الكلمة على سنته في الألفاظ الإسلامية المعروفة، فالمعنى الصحيح للحنفية أنها الشريعة النقية التي لا شوب فيها من الإلحاد والشرك والتي تعدل بالناس إلى الله وتوجه الخلق إلى الخالق وحده.

(1) محمد أبو رية، من رسائل الرافعي، ص 551.

(2) مصطفى صادق الرافعي.

(3) في قوله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ

ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ ﴾ [الأعراف: 133]

كُتِبَ الرافعي ⁽¹⁾:

.. وما يشدُّ في القرآن حرفٌ واحدٌ عن قاعدة نظمه المعجز، حتى إنك لو تدبرت الآيات التي لا تقرأ فيها إلا ما يسرده من الأسماء الجامدة وهي بالطبع مَظَنَّة أن لا يكون فيها شيء من دلائل الإعجاز، فإنك ترى إعجازها أبلغ ما يكون في نظمها وجهات سردها، ومن تقديم اسم على غيره أو تأخير عنه، لنظم حروفه ومكانه من النطق في الجملة، أو لنكتة أخرى من نكت المعاني التي وردت فيها الآية بحيث يوجه شيئاً فيما ليس فيه شيء.

تأمل قوله تعالى ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ ﴾ فإنها خمسة أسماء، أخفها في اللفظ ﴿ الطُّوفَانَ وَالْدَّمَ وَالْجَرَادَ ﴾ وأثقلها ﴿ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ ﴾ فقدم ﴿ الطُّوفَانَ ﴾ لمكان المدين فيها حتى يأنس اللسان بخفتها، ثم الجراد وفيها كذلك مدّ، ثم جاء باللفظين الشديدين مبتدئاً بأخفهما في اللسان وأبعدهما في الصوت لمكان تلك الغنة فيه، ثم جيء بلفظة ﴿ الدم ﴾ آخرأ، وهي أخف الخمسة وأقلها حروفاً، ليسرع اللسان فيها ويستقيم لها ذوق النظم ويتم بها هذا الإعجاز في التركيب.

وأنت مهما قلبت هذه الأسماء الخمسة، فإنك لا ترى لها فصاحة إلا في هذا الوضع، لو قدّمت أو أخرت لبادرك التهافت والتعثر، ولأعتك أن تحيي منها بنظم فصيح. ثم لا ريب أحالك وذلك عن قصد الفصاحة وقطعك دون غايتها ثم

(1) الرافعي: تاريخ آداب العرب.

لخرجت الأسماء في اضطراب النطق على ذلك بالسواء، ليس يظهر أخفها من أثقلها، فانظر كيف يكون الإعجاز فيما⁽¹⁾ ليس فيه إعجاز بطبيعته.

(4) في قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾
[الكهف: 86]

كُتِبَ الرافعي⁽²⁾:

أما الآية التي سألت عنها: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ فلفظة (وجدتها) هنا هي سر الإعجاز فإن الآية لا تقرر حقيقة مغرب الشمس حتى يقال إنها خالفت العلم، إذ الشمس أكبر من الأرض بمليون مرة، فلا يعقل أن تغرب في عين حمئة الخ. وإنما تصف الآية حالة قائمة بشخص معين، فالإسكندر وجد الشمس كذلك، أي في نظره كما يقول فإنك: نظرت في السماء فوجدت الكواكب كل نجم كالشراة، فهذا صحيح في وجدانه هو لا في الحقيقة. ولو كان القرآن كلام إنسان في ذلك الزمن لجعلها حقيقة مقررة مفروغاً منها، ولقال كانت الشمس تغرب الخ، أو فإذا الشمس تغرب أو نحو ذلك.

والعين هي المحيط ولا شك والإنسان حين يقف على شاطئ البحر يرى الشمس تغرب فيه إذ لا أرض هناك، فكأنها نازلة في الماء، وهنا إعجاز آخر وهو تسمية المحيط العظيم (بعين حمئة)، فإنه هو كذلك على الحقيقة، بالنسبة لعظمة جرم الشمس.

(5) في قوله تعالى ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ [يس: 38]

(1) في الأصل: فيها! والصواب ما أثبت.

(2) محمود أبو رية من رسائل الرافعي ص 296.

كُتِبَ الرافعي⁽¹⁾:

.. تأمل هذا التنكير في قوله ﴿لِمُسْتَقَرٍّ﴾ فهو يشعر أن العالم الشمسي يجري في اللانهاية إلى نهاية محتومة، فما الشمس (بمؤلهة⁽²⁾) إذا كان لها استقرار، فهي محدثة فانية، ثم قوله ﴿لَهَا﴾ هو الذي يعين أنها تجري في اللانهاية؛ لأن المستقر غير مطلق بل هو لها ثم التعبير بالفعل (دون) غيره (من نحو تسير أو تدور الخ) هو الذي ينطوي إلى الحقيقة الفلكية التي أثبتها الأرقام، فكل كلمة من الآية إعجازٌ وحده.

6) في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ [الشورى: 17]

كُتِبَ الرافعي⁽³⁾:

هذه الكلمة وحدها في وصف القرآن معجزة، فقد أثبتت كل العلوم أن الميزان أصل الكون، وأن كل شيء بقدر ونسبة، وعطف الميزان الحق في وصف القرآن مما يحير العقل؛ لأن أحدهما مما يلينا خاصة، والآخر مما يلي الكون عامة، حق لا يتغير ولا يتبدل، وميزان لا يغير ولا يبدل.

في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ﴾ ﴿نَارُ حَامِيَةٍ﴾ [القارعة: 10-11]

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورى: 17]

(1) الرافعي: تاريخ آداب العرب ج2، ص132.

(2) في الأصل: بؤلة، ولعلها بمؤلهة.. أو بمؤيدة.

(3) الرافعي، تاريخ آداب العرب ج، ص208 وقد جاء ذلك في إطار الحديث عن أسلوب القرآن.

كُتِبَ الرَّافِعِي⁽¹⁾.

قال الراغب⁽²⁾: كل موضع ذكر في القرآن ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ فقد عقب بيانه، نحو ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ﴾ ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ وكل ذكر فيه ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ لم يعقبه بذلك، نحو ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾.

قلنا: وهذا من أدق معاني الإعجاز، فإن ﴿أَدْرَاكَ﴾ صيغة الماضي، والماضي مكشوف معروف، لأنه وقع، ولكن ﴿يُدْرِيكَ﴾ صيغة المستقبل والمستقبل محجوب فتأمل وكرر النظر فإن المقام لا يتسع هنا .

(1) مصطفى صادق الرافعي: السحاب الأحمر.

(2) يعني الراغب الأصفهاني

المبحث الثاني

المطلب الأول: الإعجاز القرآني عند سيد قطب:

الشهيد سيد قطب أديب مطبوع معطاء، وكاتب فذ مرهف، ثري العواطف، غني المشاعر، ألمعي الذهن، وهو قبل ذلك كله وبعده يمتاز بسمو الروح، وعمق الإدراك، وقوة الإيمان، تفاعل مع القرآن الكريم، فتفاعل القرآن في نفسه، وكان هذا التفاعل خالياً من الشوائب، بعيداً عن الشبهات، ذلكم أن تفاعل الرجل رحمه الله مع القرآن كان نتيجة رحلة طويلة قضائها مع أفكار أرضية متضاربة متباينة وثقافات متعددة كان أسيرها، استهوت فؤاده، وملكت عليه لُبّه، ولكنه بعد أن خبرها جميعاً وجدّها فخلّات وعقارات فكان لا بد من أن يرجع إلى القرآن وثيقة السماء الوحيدة الخالدة، رجوعاً فيه سلامة العقيدة وصفاء الفكر وحاجات النفس. ولقد سعدت المكتبة الإسلامية بهذا التاج الثري المبارك، فمن التصوير الفني في القرآن الكريم، إلى مشاهد القيامة، إلى غير ذلك من كتب ومقالات، ولقد بلغ هذا الإنتاج قمته بما تفتق عنه فكره وقلمه ونفسه رحمه الله، وهو كتاب الظلال⁽¹⁾.

المطلب الثاني: إعجاز القرآن عند سيد قطب:

إنّ سيد قطب رحمه الله لم يكتب كتاباً خاصاً في الإعجاز، ولكنه ما كتب عن القرآن الكريم وهو كثير تتدّوق فيه حلاوة الإعجاز، ويرى فيه روحه ونجد فيه لبه وحقيقته، ومن نافلة القول أن يكون الإعجاز البياني الوجه الأول والأتم عند سيد قطب رحمه الله، ولكنه مع ذلك لم يفته أن ينبّه إلى وجوه كثيرة من وجوه إعجاز القرآن، يقول (أن إعجاز القرآن أبعد مدى من إعجاز نظمه ومعانيه، وعجز

(1) إعجاز القرآن الكريم: فضل عباس وسناء عباس.

الإنس والجن عن الإتيان بمثله، هو عجز كذلك عن إبداع منهج كمنهجه يحيط بما يحيط به⁽¹⁾.

المطلب الثالث: الإعجاز البياني:

الكلمة القرآنية

المتبع لما كتبه سيد قطب - رحمه الله - يجده يولي الكلمة القرآنية كثيراً من العناية، وهو ينبه على سرها، ويبين جمالها في موضعها، ودقتها في سياقها، وأحقية مكانها بها، فقد اختيرت اختياراً دقيقاً، لأن غيرها لا يؤدي ما تؤديه، وهذا ما نبه عليه وأشار إليه العلماء السابقون .

النماذج التي توضح أسلوب سيد قطب في تفسير آيات القرآن الكريم:

(1) يقول وهو يقارن بين هاتين الآيتين قوله ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [الحج: 5] وقوله ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [فصلت: 39] لقد جاءت كلمة خاشعة في الآية الثانية، لأنها تتفق مع السياق، فالسياق هنا سياق عبادة، لأن الآية التي قبلها تحدثت عن سجود الليل والنهار و الشمس والقمر، فكان من الحكمة البيانية أن يذكر هذا الخشوع، لأنه متصل بالعبادة، أما الآية الأولى فلقد جاءت الكلمة في سياق الحديث عن نهاية الدنيا وزلزلة الساعة، وإثبات البعثة، فكان المتلائم مع السياق أن تذكر كلمة هامة.

(1) إعجاز القرآن الكريم: المرجع السابق نفسه.

(2) ويحدثنا عن سر التعبير في كلمة (سجى) من قوله الله تعالى ﴿ وَالضُّحَىٰ ﴾

وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿ [الضحى: 1-2]

دون أظلم ودون يغشى، ذلك لأن هذا يتناسب مع السياق الذي جاءت له الآيات، من انقطاع الوحي مدة وفتوره فما هي إلا حالة تشبه (سجى الليل) دون أن يعم ظلامه.

(3) وأشار إلى دقة التعبير عند قوله تعالى كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴿ [يوسف: 76]

فقال: والكيد يطلق على التدبير في الخفاء للخير، وللشر سواء، وإن كان الشر قد غلب عليه، وظاهر الأمر هنا أنه شر يحل بأخيه، وهو يحل بإخوته لإحراجهم أمام أبيه، وهو سوء - ولو مؤقتاً - لأبيه، فلهذا اختار تسميته كيداً على إجمال اللفظ، وبالإلماع إلى ظاهره وهو من دقائق التعبير (13/34).

(4) قال عند قوله تعالى ﴿ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾ وَيَحْسُونَ هَذِهِ الرَّحْمَةَ

ظليلة فسيحة ممتدة، ﴿ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾ [الكهف: 16]

ولفظه (ينشر) تلقى ظلال السعة والبحبوحة والإفساح، فإذا الكهف فضاء

فسيح رحيب.

(5) وبين سر اختيار كلمة (تظلم) في قوله تعالى ﴿ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا

وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا ﴾ [الكهف: 33] قال: ويختار التعبير كلمة (تظلم) في

معنى تنقص وتمنع، لتقابل بين الجنتين وصاحبهما الذي ظلم نفسه فبطر ولم

يشكر وازدهى وتكبر.

(6) ويبين سر التعبير عند قوله سبحانه ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ ﴾ [يوسف: 79] فما السر في استعمال هذه الكلمة (عنده) ولم يقولوا: معاذ الله أن نأخذ بريئاً مكان سارق؛ لأنه يعلم أن أخاه ليس بسارق.

المبحث الثالث: الإعجاز البياني في القرآن الكريم - بنت الشاطيء

المطلب الأول: ذكر فكرة موجزة عن كتاب الإعجاز البياني في القرآن:-

يشتمل هذا الكتاب كما سمته كاتبة على موضوعين اثنين:-

الأول: إعجاز القرآن.

الثاني: مسائل نافع بن الأزرق.

وكنا نود أن يكون كل من الموضوعين في كتاب مستقل، والذي يعنينا هنا الموضوع الأول الإعجاز البياني، حيث بدأت الكاتبة بقولها: لولا نسب لي في الشيوخ عريق، لتهيب التعدي لهذا الموضوع الدقيق الصعب الذي توارد عليه أئمة من علماء السلف، أفنوا أعمارهم في خدمة القرآن الكريم، وقدموا إلى المكتبة الإسلامية ثمار جهودهم السخية الباذلة وقد عرفت عائشة بيت الشاطيء فيه عدة مباحث تحاول ذكرها وتوضيح بعضها بشكل موجز وهي على النحو التالي:-
(توضيح الأسلوب في المدخل والمبحث الأول).

1. مدخل إلى الموضوع.
2. المبحث الأول: وفيه المعجزة، وقضية التحدي، وآيات المعجزة، ووجوه الإعجاز والبلاغيون والإعجاز.
3. المبحث الثاني: رأيي في الإعجاز وفيه:-
 - أ- فوائح السور وسر الحروف.
 - ب- دلالات الألفاظ وسر الكلمة.

ج- الأساليب وسر التعبير.

المدخل: عرضت فيه المسيرة التاريخية للإعجاز منذ القرن الثالث الهجري إلى هذا القرن، ولنا عليها في مدخلها هذا ملحوظتان:-

الملحوظة الأولى: أننا نجد الكاتبة تحاول أن تنقض من قدر علمائنا السابقين وتصورهم جميعاً صورة مستكرهة منفرة، ولم تتحدث بكلمة واحدة تبين فيها منزلة هؤلاء الأعلام الأقدمين منهم والمحدثين، بل همزتهم ونالت منهم جميعاً، وليس هذا أمراً مقبولاً، كما أنها أهملت ما ذكره السابقون من الإشادة بفضل من سبقهم، فهي مثلاً تنقل تفكير ابن حزم للباقلاني، لكنها تهمل إشادة العلوي بعبد القاهر الجرجاني وهذا أمر ما أظنه يليق بصاحبة النسب العريق بالشيخ كما ذكرت عن نفسها.

الملحوظة الثانية: حينما تتحدث عن القرن الثامن تذكر قول صاحب الطراز يحيى بن حمزة العلوي (إن السابقين أغلقوا بلاغة القرآن ثم تقول: ثم لو عوّزنا من كان منهم ليس له حظ في المباحث الكلامية الإلهية، ولا كانت له قدم راسخة في العلوم وهم الأكثر كالسكاكي وابن الأثير وصاحب التبيان) وتعلق في الحاشية بأن صاحب التبيان لعله ابن قيم الجوزية صاحب التبيان في أقسام القرآن.

وما كان ينبغي للكاتبة، وهي التي تتحدث من الإعجاز وتاريخه أن تفوتها مثل هذه البدهية لما يلي:-

أولاً: لا ينكر أحد أن ابن القيم كان ذا قدم راسخة في علم الكلام فلا يمكن أن يقصده العلوي.

ثانياً: إن كتاب ابن القيم أقسام القرآن ليس كتاباً في موضوع الإعجاز.

ثالثاً: ذكر العلوي في الطراز أن اسم صاحب كتاب التبيان عبد الكريم أو عبد الواحد، وابن القيم اسمه محمد بن أبي بكر إن صاحب التبيان هذا هو ابن

الزملكاني، وهو معروف في بيثة الذين كتبوا عن الإعجاز ثم تحدثت عن المعجزة وآيات التحدي، وما نظنها جاءت بمجديد، ولكنها لا تدع فرصة تسنح لها إلا وتنال من الباقلاني وترد عليه، وهناك بعض الملحوظات على ما قالته، منها أنها ذكرت أن أول آيات التحدي كانت في سورة الإسراء، وسورة الإسراء كما نعلم جميعاً كانت متأخرة النزول؛ لأن الإسراء يرى أكثر العلماء كان قبل الهجرة بسنة أو أكثر قليلاً فلا يعقل - إذن - أن تكون آية الإسراء هي أول آيات التحدي. وعند حديثها عن وجوه الإعجاز، تنقل آراء السابقين، وتركز على أن أعظم هذه الوجوه، الإعجاز البلاغي، وتبين أنها لا تتعرض للإعجاز العلمي لأن كثيرين ممن عرفوا لهذا الوجه ليسوا من ذوي الاختصاص.

البلاغيون والإعجاز: وفي هذا الفصل أسهبت الكاتبة في الحديث عن الذين كتبوا في الإعجاز: الخطابي، الرماني، وعبد الجبار، عبد القاهر وغيرهم⁽¹⁾

المطلب الثاني: مع الدكتورة عائشة بنت الشاطيء في دراستها لنقض الترادف:-

قامت الدكتورة عائشة عبد الرحمن بجهد طيب في محاولتها لمنع الترادف بين كلمات قرآنية متقاربة، ظنّها بعضهم مترادفة، ويُنْتِ الفروق. وأثبتت ذلك في كتابها (الإعجاز البياني للقرآن).

قالت في مقدمة مبحث (دلالات الألفاظ وسر الكلمة): (من قديم شغلت قضية الترادف علماء العربية، واختلفت مذاهبهم فيها، والبيان القرآني يجب أن لا يكون له القول الفصل فيما اختلفوا فيه، حين يَهْدِي إلى سرّ الكلمة لا تقوم مقامها كلمة سواها، من الألفاظ المقول بترادفها).

(1) إعجاز القرآن الكريم ص 131-133

وقد تتبعت ألفاظاً قرآنية زعموها مترادفة في سياق القرآن. وقالت في مفتح ذلك الاستقرار: (شَهَدَ التَّبَعُ الاستقرائي لألفاظ القرآن في سياقها أنه يستعمل اللفظ بدلالة معينة لا يمكن أن يؤديها لفظ آخر، في المعنى الذي تحشد له المعاجم وكتبُ التفسير عدداً قَلَّ أو كثر من الألفاظ) وختمت دراستها لتلك الألفاظ بقولها: (وقد لا ينبغي لي أن أعترف هنا بقصوري عن لُحِّ فروق الدلالة لبعض ألفاظ قرآنية تبدو مترادفة، فليس لي إلا أن أقر بالمعجز والجهل، وأنا أتمثل بكلمة ابن الأعرابي: كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد، في كل منهما معنى ليس في صاحبه، ربما عرفناه فأخبرنا به، وربما غمض علينا، فلم نلزم العرب جهله..)⁽¹⁾

والألفاظ المتقاربة التي بيّنت الفروق بينهما في دراستها الممتعة الطيبة هي: الرؤيا والحلم، وأنس وأبقر. والنأي والبعد. وحَلَفَ وأقسم، وتصدع وتحطّم. والخشوع والخشية، والخضوع والخوف، وزوج وامرأة. وأشتات وشتى. والإنس والإنسان. والنعمة والنعيم.

(1) البيان في إعجاز القرآن: للدكتور صلاح الخالدي.

المبحث الرابع: الشيخ محمد متولي الشعراوي

المطلب الأول:

عَرَفَ الناس عن طريق الإذاعة والتلفاز، وهو يتحدث لسن، يشرب حديثه شيئاً من اللهجة المصرية، وهو إذ يتحدث يحسن العرض بأسلوب شيق، لذا أعجب به كثير من المشاهدين، وتدور أحاديثه أكثرها حول تفسير القرآن، ولم يخرج الشعراوي كتباً، ولكن أحاديثه للإذاعة والتلفاز كانت تسجل ثم تفرغ من الأشرطة على الورق ويراجعها بعض المعجبين، ويدفعون بها إلى بعض دور النشر، ومنها كتاب المعجزة وهو كتاب يتكون من أربعة أجزاء، وما دام الرجل لم ينقح ما سيرسله إلى المطبعة فإن من الطبيعي أن يغلب طابع التكرار على ما في هذا الكتاب، حتى أننا لنجد القصة الواحدة تذكر مرات عديدة، هذا من حيث الشكل والقالب.

- أما من حيث الموضوع والمضمون، فإن ما يتحدث به الشيخ الشعراوي، ونشر فيما بعد فيه كثير من اللفات، وقد تكون هذه اللفات بيانية، وقد تكون تاريخية، وقد تكون علمية، تتصل بالكون والإنسان.

المطلب الثاني:

قال تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ [الأنعام: 11] يقول: لماذا قال: سيروا في الأرض ولم يقل على الأرض؟ إن حرف (في) يدل على الظرفية لأن الأرض ظرف المشي والسير، إن الأرض التي أمرتنا الآية بالسير فيها، ليست هي الأرض بمفهومها المادي فقط، أي ليست هي الكرة الأرضية ماء ويابسة، ولكن الأرض هي بغلافها الجوي، فالغلاف الجوي جزء من الأرض يدور معها ويلازمها ومكمل

للحياة معها.. فما دام الإنسان في الغلاف الجوي فهو الأرض، وهنا نعرف الحكمة من التعبير بكلمة (في) دون كلمة (على). وما ذكره الشيخ هنا لا يخلو عن مناقشة، لا لأننا ننكر الغلاف الجوي للأرض؛ بل لأن المتدبر لأي القرآن يجد في تفسير الشيخ تحميلاً للآية فوق ما تحمل، إن القرآن الكريم استعمل كلمة الأرض كثيراً، وكان يستعملها مجرورة ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [التوبة: 2] ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ﴾ [الإسراء: 36]

واستعملت أيضاً مجرورة بحرف الجر (على) ﴿وَيُمَسِّكُ السَّمَاءَ أَنْ تَفْصَعَ عَلَى الْأَرْضِ﴾ [الحج: 65] والتي تعنيا الآية السابقة، فلماذا استعمل حرف الجر (في) في الآيات السابقة واستعمل حرف الجر (على) في هذه الآية، والغلاف الجوي هو هو؟؟

إن حرف (على) يدل على الاستعلاء، و(في) تدل على الظرفية، والله تبارك وتعالى من رحمته مهد الأرض، ودللها لنا ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: 10] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك: 15] وجعلها لنا مستقراً، وجعل لنا فيها متاعاً، جعل منها حياتنا ومماتنا ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [الأعراف: 24] ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف: 25].

وعلى ضوء هذه الآيات الكريمة، يمكننا أن ندرك السر الذي استعملت من أجله كلمة (في)، فقد هيأ الله لنا هذه الأرض نسير فيها دون تكلف ونمشي فيها دون عناء، ظاهرها لنا أحياء، وباطنها لنا أمواتاً ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا

أَحْيَاءٌ ﴿٢٥﴾ وَأَمْوَاتٌ ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَؤُسِي شَمِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾

[المرسلات: 25-27]

فكلمة (في) تفيد هذا المعنى، ألا ترى إلى قوله صلى الله عليه وسلم (إياكم والجلوس في الطرقات) وكلمة (على) لا تعطي هذا المعنى، لا تعطي معنى التذليل والتسهيل والتسخير، بل (على) تعطي شيئاً غير هذا، تقول سرت على السطح وعلى الجبل، والوصول إليهما لا بد له من جهد وعناء، ثم لماذا استعملت كلمة (على) في قوله ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ إن لذلك سرّاً بيانياً عجيباً، إن عباد الرحمن أكرمهم الله بالعزة ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فهم الأعلو دائماً، وهذه الآية الوحيدة التي استعملت فيها كلمة (على)، فهم يشعرون بهذا العلو الذي ميزهم الله به، ولكنه علو ليس فيه فساد، إنما هو علو فيه شكر لله وتواضع له، وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾.

الفصل السابع

قصص إسلام رجال تأثروا بالقراء

المطلب الأول: قصة إسلام المغني الإنجليزي السابق يوسف إسلام.

المطلب الثاني: قصة إسلام العالم الفرنسي موريس بوكاي.

المطلب الثالث: قصة إسلام أستاذ الفيزياء عضو الأكاديمية الطبية الروسية.

المطلب الرابع: قصة إسلام كيث مور عالم الأجنة الشهير.

المطلب الخامس: قصة إسلام البرفيسور ناجاتات تاجامون

المطلب السادس: قصة إسلام الدكتور الفرنسي علي سلمان بنوا.

المطلب السابع: قصة إسلام أستاذ القانون اليهودي بسبب علم المواريث.

المطلب الأول: المغني الإنجليزي السابق يوسف إسلام

يوسف قبل الإسلام:

ولد يوسف إسلام تحت اسم ستيفن ديمتري جورجيو في شهر يوليو / تموز 1947م لأم سورية وأب من القبارصة اليونانيين، وتربى ستيفن في حي ويست انبلندن وكان معتقاً للمذهب الأرثوذكسي اليوناني بسبب أن أباه من القبارصة اليونان، وتلقى تعليمه في مدرسة كاثوليكية وحصل ستيفن على 8 ألبومات ذهبية متتالية وحازت أغانيه على شهرة واسعة في بريطانيا والولايات المتحدة. يوسف إسلام أو المغني الإنجليزي المعروف كات ستيفن سابقاً يعرض قصة إسلامه:-

أود أن أبدأ قصتي بما تعرفونه جميعاً وهو أن الله قد استخلفنا في الأرض وأرسل لنا الرسل وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم ليهدينا إلى الطريق القويم. وعلى الإنسان أن يلاحظ حبه نحو هذا الاستخلاف وأن يسعى لتحضير نفسه للحياة الخالدة القادمة فمن تفوته الفرصة الآن لن تأتيه أخرى فلن نعود ثانية حيث يقول القرآن الكريم، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: 12-14].

نشأة يوسف إسلام - كما يرويها: -

نشأتُ في بيئة تملؤها أضواء العمل الفني الاستعراضي وكانت أسرتي تدين المسيحية، فلقد تمّ تنصيري أي أن النصرانية هي الديانة التي أنشأني والدي عليها .

مفني البوب المشهور:

وبدأت أبتعد عن نشأتي الدينية، بمعتقداتها المختلفة شيئاً فشيئاً وانخرطت في مجال الغناء وكنت أرغب في أن أكون مغني مشهور فأصبح الثراء المطلق هو هدفي، فقدمت الكثير من الأغاني ولكن داخلي في أعماق نفسي كان هناك نداء إنساني ورغبة في مساعدة الفقراء عند تحقيقي للثراء المنشود، وقد حققت نجاحاً واسعاً وأنا لم أتعدى سنواتي التسعة عشر بعد.

واجتاحت صوري وأخباري وسائل الإعلام المختلفة، وكانت في هذه الفقرة وسيلتي لتعدي حدود الزمن والوصول إلى القدرات الفائقة هي الانغماس في عالم الخمور والمخدرات .

الدخول إلى المستشفى:

بعد مضي عام تقريباً من النجاح المادي والحياة الراقية وتحقيق الشهرة أصبتُ بالسل ودخلت إلى المستشفى، وأثناء وجودي في المستشفى أخذت أفكر في حالي وفي حياتي هل أنا جسد فقط، لماذا أنا راقد في هذا الفراش؟ وأسئلة كثيرة بدأت أبحث لها عن إجابة، وكان اعتناق عقائد شرق آسيا سائداً في ذاك الوقت فبدأت أقرأ في هذه المعتقدات وبدأت لأول مرة أفكر في الموت. وقد ازدادت شهرتي في عالم الموسيقى وعانيت من أوقات عصيبة لأن شهرتي وغنائي كانتا تزددان بينما كنت من داخلي أبحث عن الحقيقة، وأصبحت بعد ذلك مقتنعة أن البوذية قد تكون عقيدة نبيلة وراقية و لكنني لم أكن مستعداً لترك العالم والتفرغ للعبادة فقد كنت ملتصقاً بالدنيا ومتعلقاً بها ولم أكن متعبداً لأن أكون راهباً في محراب البوذية

وأعزل نفسي عن العالم وبعدها حاولت أن أجد ضالتي التي أبحث عنها في علم الأبراج أو الأرقام ومعتقدات أخرى لكنني لم أكن مقتنعاً بأي منها . ولم أكن أعرف أي شيء عن الإسلام في ذلك الوقت و تعرفت عليه عندما سافر أخي إلى القدس وعاد مبهوراً بالمسجد الأقصى وبالحركة والحياة التي تعج بين جنباته على خلاف الكنائس النصرانية والمعابد اليهودية التي دائماً ما تكون خاوية .

حكايتي مع القرآن:

أحضر لي أخي من القدس نسخة مترجمة من القرآن وعلى الرغم من عدم اعتناقه الإسلام إلا أنه أحس بشيء غريب تجاه هذا الكتاب وتوقع أن يعجبني وأن أجد فيه ضالتي.

وعندما قرأت النسخة المترجمة من القرآن وجدت فيه الهداية فقد أخبرني عن حقيقة وجودي والهدف من الحياة وحقيقة خلقي ومن أين أتيت. وعندها أيقنت أن هذا هو الدين الحق وأن حقيقة هذا الدين تختلف عن فكرة الغرب عنه وأنها ديانة عملية وليست معتقدات تستعملها عندما يكبر سنك وتقل رغبتك في الحياة مثل المعتقدات الأخرى و بدأت أدرك أن كل شيء من خلق الله ومن صنعه وأنه لا تأخذه سنة ولا نوم وعنها بدأت أتنازل عن تكبري لأنني عرفت خالقي وعرفت أيضاً السبب الحقيقي وراء وجودي وهو الخضوع التام لتعاليم الله والانقياد إليه وهو ما يعرف بالإسلام، وعندها اكتشفت أنني مسلم في أعماقي .

اعتناق الإسلام:

وفي ذلك الوقت فكرت في الذهاب إلى القدس مثلما فعل أخي وهناك بينما أنا جالس في المسجد سألتني رجل ماذا تريد؟ فأخبرته بأنني مسلم وبعدها سألتني ما اسمك؟ فقلت له سيفنس فتحيّر الرجل، وانضمت إلى صفوف المصلين وحاولت أن أقوم بالحركات قدر المستطاع، بعد عودتي إلى لندن قابلت أخت مسلمة اسمها

نفيسة وأخبرتها برغيتي في اعتناق الإسلام فدلّني على مسجد نيورجينت، وكان ذلك في عام 1977م بعد عام ونصف تقريباً من قراءتي للقرآن، كنت قد أيقنت عند ذلك الوقت أنه عليّ أن أتخلص من كبريائي وأتخلص من الشيطان وأتجه اتجاه واحد. وفي يوم الجمعة بعد الصلاة اقتربت من الإمام وأعلنت الشهادة بين يديه. رغم تحقيقي للثراء والشهرة إلا أنني لم أصل إلى الهداية إلا عن طريق القرآن والآن أصبح بإمكانني تحقيق الاتصال المباشر مع الله بخلاف الحال مع المسيحية والديانات الأخرى، فقد أخبرتني سيدة هندوسية ذات مرة: أنت لا تفهم الهندوسية فنحن نؤمن بإله واحد ولكننا نستخدم هذه التماثيل للتركيز، ومعنى كلامها أنه يجب أن تكون هناك وسائط لتصلك إلى الله. ولكن الإسلام أزال هذه الحواجز والشيء الوحيد الذي يفصل بين المؤمنين وغيرهم الصلاة فهي السبيل إلى الطهارة الروحية. وأخيراً أود أن أقول أن كل أعمالي ابتغي بها وجه الله وأدعوا الله أن يكون في قصتي عبرة لمن يقرؤها، وأود أن أقرّ أنني لم أقابل أي مسلم قبل اقتناعي بالإسلام ولم أتاثر بأي شخص. فقد قرأت القرآن ولاحظت أنه لا يوجد إنسان كامل ولكن الإسلام كامل وإذا قمنا بتطبيق القرآن وتعاليم الرسول عليه الصلاة والسلام فسوف ننجح في هذه الحياة. أدعوا الله أن يوفقنا في إتباع سبيل الرسول عليه الصلاة والسلام، آمين.

المطلب الثاني : قصة إسلام العالم الفرنسي موريس بوكاي

موريس بوكاي :

من هو موريس بوكاي ؟؟ وما أدراك ما فعل موريس بوكاي ؟

إنه شامة فرنسا ورمزها الوضاء ..

فلقد ولد من أبوين فرنسيين، وترعرع كما ترعرع أهله في الديانة النصرانية، ولما أنهى تعليمه الثانوي انخرط طالباً في كلية الطب في جامعة فرنسا، فكان من الأوائل حتى نال شهادة الطب، وارتقى به الحال حتى أصبح أشهر وأمهـر جراح عرفته فرنسا الحديثة ..

فكان من مهاراته في الجراحة قصة عجيبة قلبت له حياته و غيرت كيانه ..

اشتهر عن فرنسا أنها من أكثر الدول اهتماماً بالآثار والتراث، وعندما تسلم الرئيس الفرنسي الاشتراكي الراحل (فرانسوا ميران) زمام الحكم في البلاد عام 1981م طلبت فرنسا من دولة (مصر) في نهاية الثمانينات استضافة مومياء (فرعون مصر) إلى فرنسا لإجراء اختبارات وفحوصات أثرية ومعالجة .. فتم نقل أشهر طاغوت عرفته مصر .. وهناك وعلى أرض المطار اصطف الرئيس الفرنسي منحياً هو ووزرائه وكبار المسؤولين في البلد عند سلم الطائرة ليستقبلوا فرعون مصر استقبال الملوك و كأنه ما زال حياً ..

و كأنه الآن يصرخ على أهل مصر (أنا ربكم الأعلى)

عندما انتهت مراسم الاستقبال الملكي لفرعون مصر على أرض فرنسا .. حملت مومياء الطاغوت بموكب لا يقل خفاوة عن استقباله وتم نقله إلى جناح خاص في مركز الآثار الفرنسي، ليبدأ بعدها أكبر علماء الآثار في فرنسا وأطباء

الجراحة والتشريح دراسة تلك المومياة واكتشاف أسرارها، وكان رئيس الجراحين والمسؤول الأول عن دراسة هذه المومياة الفرعونية هو البروفسور موريس بوكاي .

كان المعالجون مهتمين في ترميم المومياة، بينما كان اهتمام رئيسهم (موريس بوكاي) عنهم مختلف للغاية، كان يحاول أن يكتشف كيف مات هذا الملك الفرعوني، وفي ساعة متأخرة من الليل، ظهرت نتائج تحليله النهائية .. لقد كانت بقايا الملح في جسده أكبر دليل على أنه مات غريقاً.. وإن جثته استخرجت من البحر بعد غرقه فوراً، ثم أسرعوا بتحنيط جثته لينجو بدنه، لكن ثمة أمراً غريباً ما زال يحيرهُ وهو كيف بقيت هذه الجثة دون باقي الجثث الفرعونية المخططة أكثر سلامة من غيرها، رغم أنها استخرجت من البحر..! بعد غرقه مباشرة، حتى همس أحدهم في أذنه قائلاً لا تتعجل فإن المسلمين يتحدثون عن غرق هذه المومياة.. ولكنه استنكر بشدة هذا الخبر، واستغربه، فمثل هذا الاكتشاف لا يمكن معرفته إلا بتطور العلم الحديث وعبر أجهزة حاسوبية حديثة بالغة الدقة فقال له أحدهم إن قرآنهم الذي يؤمنون به يروي قصة عن غرقه وعن سلامة جثته بعد الغرق...!

فازداد ذهولاً وأخذ يتساءل.. كيف يكون هذا وهذه المومياة لم تكتشف أصلاً إلا في عام 1898م أي قبل مائتي عام تقريباً، بينما قرآنهم موجود قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام؟

وكيف يستقيم في العقل هذا، والبشرية جمعاء وليس العرب لم يكونوا يعلمون شيئاً عن قيام قدماء المصريين بتحنيط جثث فراعنتهم إلا قبل عقود قليلة من الزمان فقط؟؟؟

جلس (موريس بوكاي) ليلية محدقاً بجثمان فرعون، يفكر بإمعان عما همس به صاحبه له من أن قرآن المسلمين يتحدث عن نجاة هذه الجثة بعد الغرق.. بينما كتابهم المقدس (إنجيل متى ولوقا) يتحدث عن غرق فرعون أثناء مطاردته لسيدنا

موسى عليه السلام دون أن يتعرض لمصير جثمانه البتة.. وأخذ يقول في نفسه:
هل يعقل أن يكون هذا المحنط أمامي هو فرعون مصر الذي كان يطارد موسى؟
وهل يعقل أن يعرف محمد بن عبد الله هذا قبل أكثر من ألف عام وأنا للتو أعرفه؟ لم
يستطيع (موريس) أن ينام، وطلب أن يأتوا له بالتوراة، فأخذ يقرأ في (سفر
الخروج) من التوراة قوله (فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون
الذي دخل وراءهم في البحر لم يبق منهم ولا واحد) .. وبقي موريس بوكاي
حائراً.

حتى الإنجيل لم يتحدث عن نجاة هذه الجثة وبقائها سليمة بعد أن تمت معالجة
جثمان فرعون وترميمه، أعادت فرنسا لمصر المومياء بتابوت زجاجي فاخر يليق
بمقام فرعون! ولكن.. (موريس) لم يهنا له قرار ولم يهدأ له بال، منذ أن تناقل هذا
الخبر المسلمون عن سلامة هذه الجثة! فحزم أمتعته وقرر أن يسافر إلى المحكمة
السعودية لحضور مؤتمر طبي يتواجد فيه جميع علماء التشريح المسلمين. وهناك
كان أول حديث تحدثه معهم عما اكتشفه من نجاة جثة فرعون بعد الغرق.. فقام
أحدهم وفتح المصحف وأخذ يقرأ له قوله تعالى ﴿فَأَلَيْتُمْ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ
لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنَّا لَعَالِفُونَ﴾
[يونس: 92] .

لقد كان وقع الآية عليه شديداً..

ورجت له نفسه رجة جعلته يقف أمام الحضور ويصرخ بأعلى صوته (لقد
دخلت الإسلام وآمنت بهذا القرآن).

رجع (موريس بوكاي) إلى فرنسا بغير الوجه الذي ذهب به.. وهناك مكث
عشر سنوات ليس لديه شغل يشغله سوى دراسة مدى تطابق الحقائق العلمية
والمكتشفة حديثاً مع القرآن الكريم، والبحث عن تناقض علمي واحد مما يتحدث

به القرآن ليخرج بعدها نتيجة قوله تعالى ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: 43] كان من ثمرة هذه السنوات التي قضاها الفرنسي موريس أن خرج بتأليف كتاب عن القرآن الكريم هز الدول الغربية قاطبة ورجّ علماءها رجاءً، لقد كان عنوان الكتاب (القرآن والتوراة والإنجيل والعلم.. دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة) .. فماذا فعل هذا الكتاب؟ من أول طبعة له نفذ من جميع المكتبات!

ثم أعيدت طباعته بمئات الآلاف بعد أن ترجم من لغته الأصلية (الفرنسية) إلى العربية والإنجليزية والإندونيسية والفارسية والصربية والكرواتية والتركية والأوروبية والألمانية..!

ليتشرب بعدها في كل مكتبات الشرق والغرب، وصرت تجده بيد أي شاب مصري أو مغربي أو خليجي في أمريكا، فهو يستخدمه ليؤثر في الفتاة التي يريد أن يرتبط بها..! فهو خير كتاب يتزعمها من النصرانية واليهودية إلى وحدانية الإسلام وكماله..

ولقد حاول ممن طمس الله على قلوبهم وأبصارهم من علماء اليهود والنصارى أن يردوا على هذا الكتاب فلم يكتبوا سوى تصريح جدلي ومحاولات يائسة يملئها عليهم وساوس الشيطان..

وآخرهم الدكتور (وليم كامل) في كتابه المسمى (القرآن والكتاب المقدس في نور التاريخ والعلم) فلقد شرق وغرب ولم يستطع في النهاية أن يحرز شيئاً..! بل الأعجب من هذا أن بعض العلماء في الغرب بدأ يجهز رداً على الكتاب فلما انغمس بقراءته أكثر وتمعن فيه زيادة.. أسلم ونطق بالشهادتين على الملأ!! فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

يقول موريس بوكاي في مقدمة كتابه: لقد أثارت هذه الجوانب العلمية التي يختص بها القرآن دهشتي العميقة في البداية، فلم أكن أعتقد قط بإمكان اكتشاف عدد كبير إلى هذا الحد من الدقة بموضوعيات شديدة التنوع، ومطابقته تماماً للمعارف العلمية الحديثة، وذلك في نص قد كتب منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً!!
معاشر السادة النبلاء..

لا نجد تعليقاً على تلك الديباجة الفرعونية .. سوى أن نتذكر قوله تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: 82]..

نعم والله لو كان من عند غير الله لما تحقق قوله تعالى في فرعون [فاليوم ننجيكَ بيدنك لتكون لمن خلفك آية] . كانت حقاً آية إلهية في جسد فرعون البالي..
تلك الآية التي أحييت الإسلام في قلب (موريس بوكاي) ..

المطلب الثالث :- أستاذ الفيزياء عضو الأكاديمية الطبية الروسية

دعيت مرة لحضور مؤتمر عقد للإعجاز في موسكو فكرهت في بادئ الأمر أن أحضره لأنه يعقد في بلد كانت هي عاصمة الكفر والإلحاد لأكثر من سبعين سنة وقلت في نفسي: ماذا يعلم هؤلاء الناس عن الله حتى ندعوهم إلى مثل نادي به القرآن الكريم ؟! قليل لي: لا بد من الذهاب فإن الدعوة وُجِّهت إلينا من قبل الأكاديمية الطبية الروسية. فذهبنا إلى موسكو وفي أثناء استعراض بعض الآيات الكونية وبالتحديد عند قوله تعالى ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرِجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة:5] وقف أحد العلماء المسلمين وقال: إذا كانت ألف سنة تساوي قدران من الزمان غير متكافئين دل ذلك على اختلاف السرعة. ثم بدأ يحسب هذه السرعة فقال: ألف سنة .. لا بد وأن تكون ألف سنة قمرية لأن العرب لم يكونوا يعرفون السنة الشمسية والسنة القمرية اثنا عشر شهراً قمرياً ومدة الشهر القمري هي مدار القمر حول الأرض، وهذا المدار محسوب بدقة بالغة، وهو 24 بليون كم فقال: 24 بليون مضروب في 12 وهو عدد شهور السنة. ثم في ألف سنة ثم يقسم هذا الناتج على أربع وعشرين - وهو عدد ساعات اليوم ثم على سنين - الدقائق - ثم على السنين - الثواني - فتوصل هذا الرجل إلى سرعة أعلى من سرعة الضوء. فوقف أستاذ في الفيزياء وهو يقول: لقد كنت أظني - قبل هذا المؤتمر - من المبرزين في علم الفيزياء وفي علم الضوء بالذات فإذا بعلم أكبر من علمي بكثير ولا أستطيع أن أعتذر عن تقصيري في معرفة هذا العلم إلا أن أعلن أمامكم جميعاً (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)، ثم تبعه في ذلك أربعة من المترجمين الذين ما تحدثنا عنهم على الإطلاق وإنما كانوا تابعين في غرفهم الزجاجية يترجمون الحديث من العربية على الروسية والعكس فجاءونا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً

رسول الله . ليس هذا فحسب وإنما علمنا بعد ذلك أن التلفاز الروسي قد سجل هذه الحلقات وأذاعها كاملة فبلغنا أن أكثر من 17 عالماً من علماء الروس قد أسلموا بمجرد مشاهدتهم لهذه الحلقات.

المطلب الرابع : قصة إسلام العالم الشهير كيث مور عالم الأجنة الشهير⁽¹⁾

وهو أشهر العلماء في علم الأجنة ويعرفه تقريباً كل أطباء العالم فهو له كتاب يُدرّس في معظم كليات الطب في العالم وقد ترجم هذا الكتاب لأكثر من 25 لغة فهو صاحب الكتاب الشهير (The Developing Human) . فوقف هذا الرجل في وسط ذلك الجمع قائلاً "إن التعبيرات القرآنية عن مراحل تكون الجنين في الإنسان لتبلغ من الدقة والشمول ما لم يبلغه العلم الحديث وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن هذا القرآن لا يمكن أن يكون إلا كلام الله، وأن محمداً رسول الله.

ف قيل له: هل أنت مسلم؟! قال: لا ولكني أشهد أن القرآن كلام الله وأن محمداً مرسل من عند الله، ف قيل له: إذا فأنت مسلم. قال: أنا تحت ضغوط اجتماعية تحول دون إعلان إسلامي الآن ولكن لا تتعجلوا إذا سمعتم يوماً أن كيث مور قد دخل الإسلام. ولقد وصلنا في العام الماضي أنه قد أعلن إسلامه فعلاً فله الحمد والمنة⁽²⁾.

التعريف الموجز عن كيث مور:-

البرفيسور كيث مور من أكبر علماء التشريح والأجنة في العالم، في عام 1984 استلم الجائزة الأكثر بروزاً في حقل علم التشريح في كندا جي.سي.بي.تي. بجائزة جرائت من الجمعية الكندية لاختصاصي التشريح وجه العديد من الجمعيات الكندية والأمريكية لاختصاصي التشريح ومجلس اتحاد العلوم.

(1) من كتاب الذين هدى الله : د. زغلول النجار.

(2) من كتاب الذين هدى الله من تأليف الدكتور زغلول النجار

المطلب الخامس : قصة إسلام البرفيسور ناجاتان تاجاسون

بدأت صلتنا بالبرفيسور ناجاتان تاجاسون عندما عرضنا عليه بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتصلة بمجال تخصصه في علم التشريح وبعد أن أجاب على تساؤلاتنا قال:-

نحن كذلك يوجد في كتبنا البوذية المقدسة أوصافاً لأطوار الجنين. نحن في شوق لأن نقف على ما جاء في تلك الكتب.
في لقاءنا القادم.

في العام التالي عندما جاء ممتحناً خارجياً لطلاب الطب بجامعة الملك عبد العزيز سألنا عما وعدنا به وفي أمانة علمية جديرة بالاحترام أجاب أقدم لكم اعتذاري عن معلوماتي السماعية لقد أصبتم دون أن أتأكد من هذه المعلومات ولكنني بالرجوع إلى تلك الكتب لم أجد شيئاً حول ذلك الموضوع. عندئذٍ قدّمنا له محاضرة كان قد أعدّها البرفيسور كيث مور أستاذ علم التشريح بجامعة تورنتو بكندا وعنوانها مطابقة علم اللجنة لما في القرآن الكريم والسنة وسألناه هل تعرف البرفيسور مور؟

- بالطبع إنه من كبار العلماء المشهورين في هذا التخصص وهو مرجع عالمي وإني لمندھش مما سجّله هنا في هذه المحاضرة.

ثم سألناه عدداً من الأسئلة في مجال تخصصه كان من بينها ذلك السؤال المتعلق بالجلد: هل هناك مرحلة ينعدم عندها الإحساس بألم الحرق؟؟
- نعم إذا كان الحرق عميقاً ودمّر عضو الإحساس بالألم .

- حسناً ما رأيك إذن أن القرآن الكريم الذي عند تاريخ نزوله على محمد صلى الله عليه وسلم لأكثر من ألف وأربعمائة عام، قد أشار إلى تلك الحقيقة

العلمية عندما ذكر الطريقة التي سيعاقب الله به الكافرين يوم القيامة حيث يقول عز وجل في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾.

فالقُرآن هنا يقرر أنه عندما ينضج الجلد يخلق الله للكفار جلدًا جديدًا كي يتجدد إحساسهم بالألم وذلك تأكيد من جانب القرآن على أن الأطراف العصبية تجعل الإنسان يشعر بالألم موجودة في الجلد.

- هذا الأمر يدعو للدهشة والغرابة حقيقة فتلك معرفة مبكرة جداً عن مركز الإحساس والأعصاب في الجلد ولا أدري كيف ذكر قرآنكم هذا!!

- ثرى أيمكن أن تكون هذه المعلومات قد استقاها محمد نبي الإسلام من مصدر بشرى؟؟

- بالطبع لا، ففي ذلك الوقت لم تكن هناك معارف بشرية حول هذا الموضوع.
- من أين إذن وكيف عرف ذلك؟!

- المؤكد عندي هو استحالة المصدر البشري ولكني أسألكم من أين تلقى محمد صلى الله عليه وسلم هذه المعلومات الدقيقة؟!

- من عند الله.

- الله !! ومن هو الله؟

وبعد أن شرحنا له المفهوم الإسلامي للفظ الجلالة الأعظم..

راقته تلك الروية وعاد إلى بلاده ليحاضر عن هذه الظاهرة القرآنية التي عايشها وتأثر بها حتى جاء موعد المؤتمر الطبي السعودي الثامن واستمع في الصالة الكبرى التي خصصت للإعجاز على مدى أربعة أيام لكثير من العلماء ولا سيما

غير المسلمين يحاضرون عن ظاهرة الإعجاز العلمي وفي ختام جلسات المؤتمر وقف
البر فيسور (تاجاتان تاجا سون) يعلن إسلامه، ويقول:

بعد هذه المرحلة الممتعة والمثيرة فإنني أؤمن كل ما ذكر في القرآن الكريم يمكن
التدليل على صحته بالوسائل العلمية وحيث أن محمداً نبي الإسلام كان أمياً إذن لا
بد أنه تلقى معلومات عن طريق وحي من خالق عليم بكل شيء. وإنني أعتقد أنه
حان الوقت لأن أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

﴿ ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى
صراط العزيز الحميد ﴾

المطلب السادس : الدكتور الفرنسي علي سلمان بنوا

أنا دكتور في الطب وأنتمي إلى أسرة فرنسية كاثوليكية. وقد كان لاختياري لهذه المهنة أثره في انطباعي بطباع الثقافة العلمية البحتة وهي لا تؤهلني كثيراً للناحية الروحية.

لا يعني هذا أنني لم أكن أعتقد في وجود الله، إلا أنني أقصد أن الطقوس الدينية النصرانية عموماً والكاثوليكية بصفة خاصة، لم تكن لتبعث في نفسي الإحساس بوجوده، وعلى ذلك فقد كان شعوري الفطري بوحدانية الله يحول بيني وبين الإيمان بعقيدة التثليث، وبالتالي بعقيدة تأليه عيسى المسيح.

كنت قبل أن أعرف الإسلام مؤمناً بالقسم الأول من الشهادتين (لا إله إلا الله) وبهذه الآيات من القرآن ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: 1-4]

لهذا فإنني اعتبر أن الإيمان بعالم الغيب وما وراء المادة هو الذي جعلني أدين بالإسلام. على أن هناك أسباباً أخرى حفزتني لذلك أيضاً، منها مثلاً أنني لا أستسيغ دعوى الكاثوليك أن من سلطانهم مغفرة ذنوب البشر نيابة عن الله ومنها أنني لا أصدق مطلقاً لذلك الطقس الكاثوليكي عن العشاء الرباني والخبز المقدس، الذي يمثل جسد المسيح عيسى، ذلك الطقس الطوطمي الذي يماثل ما كانت تؤمن به العصور الأولى البدائية، حيث كانوا يتخذون لهم شعاراً مقدساً، يحرم عليهم الاقتراب منه، ثم يلتهمون جسد هذا المقدس بعد موته حتى تسري فيهم روحه!!!

ومما كان يباعد بيني وبين النصرانية، أنها لا تحوي في تعاليمها شيئاً يتعلق بنظافة وطهارة البدن، لا سيما قبل الصلاة، فكان يخجل لي أن في ذلك انتهاكاً لحرمة

الرب، لأنه كما خلق لنا الروح فقد خلق لنا الجسد كذلك، وكان حق علينا ألا نهمل أجسادنا.

ونلاحظ كذلك أن النصرانية التزمت الصمت فيما يتعلق بغرائز الإنسان الفسيولوجية، بينما نرى أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يتفرد بمراعاة الطبيعة البشرية.

أما مركز الثقل والعامل الرئيسي في اعتناقي للإسلام، فهو القرآن، بدأت قبل أن أسلم، في دراسته.. وأني مدين بالشيء الكثير للكتاب العظيم الذي ألفه مستر مالك بن نبي واسمُه (الظاهرة القرآنية) فاقتنعت بأن القرآن كتاب وحي منزل من عند الله.

إن من بين آيات هذا القرآن الذي أوحى الله به منذ أكثر من أربعة عشر قرناً ما يحمل نفس النظريات التي كشفت عنها أحدث الأبحاث العلمية.

كان هذا كافياً لإقناعي وإيماني بالقسم الثاني من الشهادتين (محمد رسول الله) وهكذا تقدمت يوم 20 فبراير سنة 1953م إلى المسجد في باريس وأعلنت إيماني بالإسلام وسجلني مفتي مسجد باريس في سجلات المسلمين وحملت الاسم الجديد (علي سلمان).

المطلب السابع: إسلام أستاذ القانون اليهودي بسبب علم المواريث

وهذا أستاذ مصري مسلم يعمل بإحدى الجامعات الأمريكية. يقول كنا في حوار قانوني وكان معنا أحد أساتذة القانون من اليهود، فبدأ يتكلم ثم بدأ يخوض في الإسلام والمسلمين. فأردت أن أسكته فسألته: هل تعلم حجم قانون المواريث في الدستور الأمريكي؟ قال نعم، أكثر من ثمانية مجلدات. فقلت له: إذا جئت بك بقانون للمواريث لا يزيد على عشرة سطور، فهل تصدق أن الإسلام دين صحيح؟ قال: لا يمكن أن يكون هذا. فأتيت له بآيات المواريث من القرآن الكريم وقدمتها له فجاءني بعد عدة أيام يقول لي: لا يمكن لعقل بشري أن يحصي كل علاقات القربى بهذا الشمول الذي لا ينس أحداً ثم يوزع عليهم الميراث بهذا العدل الذي لا يظلم أحداً. ثم أسلم هذا الرجل.

خاتمة مهمة:

إن الإسلام لا يزال قوياً متماسكاً محفوظاً من أي تشويه، وأن المسلمين فيهم الخير فهم ما زالوا يدافعون عنه بكل غالٍ ونفيس، وإن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة إلى يوم القيامة وإعجازه حقيقة قاطعة، وبديهة مقررة، يقرها المسلمون والكافرون، المسلمون بتدبرهم للقرآن وتذوقهم له وإيمانهم به، والكافرون بإقرارهم بعجزهم عن معارضته واعترافهم بإعجازه لهم؛ مما دفع الكثير منهم إلى دخول الإسلام واعتناق دين الوجدانية فأصبحوا مسلمين يدافعون عن الإسلام بما عرفوه عنه من حقٍ وصدقٍ وعدلٍ ورحمةٍ.

قال تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾.

الفصل الثامن:

دراسة تحليلية لتفسير سورة الإخلاص

مقدمة :

القرآن الكريم لا يزال حتى الآن هو بحراً واسعاً مليئاً بالعلوم والمعارف والأحكام لقوله تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِذَاذًا لِكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي ﴾ [سورة الكهف: 108].

إن القرآن هو المعجزة المنزلة على رسوله الأُمِّي الذي أكد على نبوته لقوله ﴿ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ لَتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾

إن القرآن قد شغل تفكير كثير من العلماء في تفسيره وألفوا فيه كتباً مثل كتاب العالم سيد قطب.

وابن كثير ومحمد الصابوني وغيرهم كثير..

وما زال مليئاً بالأحكام والمعاني والمعجزات لقوله تعالى ﴿ قُلْ لِّمَنِ اجْتَذَعْتَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ سورة الإسراء: [87].

واني والعياذ بالله من قول كلمة أنا فقد حاولت وبكل تواضع أن أبذل جهدي طالباً من الله تعالى أن يعينني على توصيل بعض المعلومات لإخوتي بالله.

وقد قمت بهذه الدراسة التحليلية لتفسير سورة (الإخلاص) بما تشمل من تعريف وسبب نزول وبلاغة.

أتناول أولاً الحديث عن اسمها وعدد آياتها..

ثم المبحث الثاني: سبب نزولها..

ثم المبحث الثالث: تفسير آياتها..

والمبحث الرابع: أحاديث عن السورة..

والمبحث الخامس: السر الإعجازي في السورة ..

ولقد استغرقت في كتابة - الذي بين يديكم - أياماً محدودة واستخلصت ما يخص هذا الموضوع. والحمد لله تعالى الذي أعانني على كتابة ما كتبت، وأسأل الله أن يبارك لي في عملي وأن يتقبله خالصاً لوجهه الكريم.

المدخل التمهيدي:

لم يكن العرب ينكرون الله ولكن كانوا لا يعرفونه حق المعرفة، فكانوا يشركون به ولا يقدرونه حق قدره ولا يعبدونه حق عبادته وكانوا يشركون به، فقال النصارى نحن نعبد المسيح ابن الله واليهود عزيزاً ابن الله. والمجوس نحن نعبد الشمس والقمر. والمشركون يعبدون الأصنام وقالوا إن الملائكة بنات الله ولكنهم كانوا يعترفون بخلق الله للسموات والأرض وتسخيره للقمر والشمس وإنزاله الماء من السماء⁽¹⁾ بقوله ﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله ﴾ [سورة العنكبوت: 61]..

ليبين أنه ليس لله ولداً ولا والد ولا صاحبة أي هو أحد ليس له شيء.

(1) من ظلال القرآن ص (3990)

المبحث الأول

بين يدي السورة الكريمة:-

اسمها وعدد آياتها وترتيبها:

الاسم: سورة الإخلاص، وهي السورة الوحيدة التي نزلت في القرآن دون أن يرد اسمها في آياتها، ولها عشرون اسماً غير الاسم التوقيفي، منها (الصمد)، وقد ذكرهم الرازي في تفسيره، وهي سورة (مكية)
* عدد آياتها: أربع آيات.

* ترتيبها في النزول: الثمانية والعشرون وفي القرآن مئة واثنى عشر في الجزء الثلاثون.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾

المبحث الثاني: سبب النزول ومناسبة السورة بما قبلها وما بعدها

المطلب الأول: سبب النزول:

فقد روي أن بعض المشركين جاءوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقالوا له: يا محمد صف لنا ربك أمن ذهب هو، أم من فضة، أم من زبرجد، أم من ياقوت؟ فنزلت ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ .. ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ السورة⁽¹⁾.

وقد روي أنه أتى رهط قالوا معاندين مجادلين هذا الله خالق الخلق فمن خلق الله؟ فغضب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى انتقع⁽²⁾ لونه ثم ساورهم⁽³⁾ غضباً لربه فنزل عليه جبريل فسكنه، وقال: خفف عليك يا محمد، وآتاه من الله بجواب ما سأله عنه ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ السورة⁽⁴⁾.

المطلب الثاني: مناسبة السورة مع ما قبلها وما بعدها:

* مناسبة السورة مع ما قبلها^(*).

السورة التي قبلها: سورة الناس.

ولقد بينت سورة الناس الاستعاذة برب الناس ملك الناس إله الناس من الشيطان الوسواس، ونزلت سورة الإخلاص لتبين من هو الله المستعاذ به.

* مناسبة السورة مع ما بعدها:

(1) صفوة التفسير ص 119.

(2) تغير لونه.

(3) واثبهم وأراد أن يبطش بهم.

(4) هذا الحبيب يا محب ص 159.

(*) أورد المناسبة هنا على حسب ترتيب النزول، وليس ترتيب المصحف.

السورة التي بعدها: سورة (النجم)

لقد تحدثت سورة الإخلاص عن صفات الله عز وجل كما تم الذكر وقد
تحدثت سورة النجم عن الوحي والوحدانية وصدق الوحي ووهن عقيدة الشرك
وتهانت أساسها الوهمي الموهون.

المبحث الثالث: تفسيرها

المطلب الأول: الوقفة الأولى مع الآية الأولى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾

وهي أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين المستهزئين إن ربي الذي أعبدوه والذي أدعوكم لعبادته هو واحد، أحد لا شريك له ولا نضير ولا بمائل ولا مساوي لا في ذاته ولا أفعاله.

وإن وصف الله تعالى الأحد له ثلاثة معانٍ واضحة ببراہین وكلها صحيحة. الأول: أنه واحد لا ثاني معه فهو نفي للتعدد لقوله تعالى ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ وهو دليل على الإيجاد والخلق فهذا إثبات أن الله تعالى خالق لجميع الموجودات لا يصح أن يكون واحد منهم بشريك له⁽¹⁾.

المطلب الثاني: الوقفة الثانية مع الآية الثانية ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾.

لقد أكد الله تعالى على وحدانيته واستغنائه عن الخلق بهذه الآية أي هو جلٌ وعلا المقصود بالحوائج على الدوام .

يحتاج إليه الخلق وهو مستغني عن العالمين.

(الصمد في اللغة المقصود في قضاء الحاجات، وقال الألوسي: الصمد السيد الذي ليس فوقه أحد)⁽²⁾.

(1) صفوة التفسير (120).

(2) صفوة التفسير (120).

(وقال عكرمة عن ابن عباس الصمد يعني الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو السيد الذي قد كمل في سؤده. والشريف الذي قد كمل في شرفه. والعظيم الذي قد كمل في عظمته. والحليم الذي قد كمل في حلمه. والعليم الذي قد كمل في علمه. والحكيم الذي قد كمل في حكمته. هو الله سبحانه هذه صفاته لا تنبغي إلا له ليس كمثله شيء⁽¹⁾).

(وقال سفيان عن منصور عن مجاهد: الصمد المصمت، الذي لا جوف له، الصمد هو الذي لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب).

وقال: عبد الله: هو نور يتلأأ⁽²⁾

ومعاني الصمد كلها صحيحة وهي صفات الله عز وجل فهو الذي يصمد إليه الحوائج وقد انتهى سؤده وهو الذي لا جوف له لا يأكل ولا يشرب وهو الحي القيوم الباقي بعد خلقه وهو نور يتلأأ

المطلب الثالث: الوقفة الثالثة مع الآية الثالثة:-

﴿لم يلد ولم يولد﴾

هي حقيقة إلهية ثابتة أزلية لا تغيرها حال بعد حال صفته الكمال المطلق في جميع الأحوال.

والأولاد انبثاق وامتداد ووجود زائد بعد نقص أو عدم وهو على الله محال. ثم هي تقتضي الزوجية والتي تقوم على التماثل. وهذا محال على الله أيضاً، وفي قوله (لم يلد) أي لم يتخذ ولداً وليس له ابن أو بنات وهذه الآية رد على كل

(1) تفسير القرآن العظيم (574).

(2) تفسير القرآن العظيم (574).

من جعل لله ولداً كاليهود بقولهم: ﴿عُزِيزُ ابْنِ اللَّهِ﴾ والنصارى بقولهم ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ وكالمشركين العرب في زعمهم أن الملائكة بنات الله في قولهم (الملائكة بنات الله) .

فردّ الله عليهم بأنه ليس له ولد لأن الولد يجب أن يكون من نفس جنس والده والله أزليّ قديم ليس كمثله شيء فلا يمكن أن يكون له ولد . ولأن الوالد يجب أن تكون له زوجة (أم) والله ليس له زوجة؛ لقوله تعالى ﴿بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة﴾.

(ولم يولد) أي ولد يولد من أب وأم ولأن كل مولود حادث والله قديم أزليّ . فقد نفت الآية أي نسب له من جميع الجهات فهو الأول الذي لا بداية في وجوده والقديم الذي لم يكن معه شيء . ولقد تمثلت فيها أعظم وجوه الإعجاز⁽¹⁾.

المطلب الرابع: الوقفة الرابعة مع الآية الرابعة:

﴿ ولم يكن له كفواً أحد ﴾

أي ليس له جلّ وعلا مثيل ولا نظير ولا شبيه أحد في خلقه ولا في ذاته ولا في صفاته⁽²⁾.

لا في حقيقة الوجود ولا في حقيقة الفاعلية ولا في أي صفة من الصفات الذاتية وهذا كذلك يتحقق بأنه (أحد) وهو نفي للعقيدة الثنائية التي تزعم أن الله هو إله الخير وأن للشر إله يعاكس الله - بزعمهم - ويعاكس عليه أعمال الخير وينشر الفساد في الأرض فقال الله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير صدق الله العظيم⁽³⁾.

هو مالك كل شيء وخالقه فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه أو قريب يدينه .

(1) صفوة التفسير [بتصرف].

(2) صفوة التفسير 120.

(3) في ظلال القرآن 4004.

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربه في حديث قدسي: (كذّبي ابن آدم و لم يكن له ذلك و شتمني و لم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقله لن يعبدني كما يراني وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته و أما شتمه إياي فقله اتخذ الله ولداً و أنا الأحد الصمد الذي لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفواً أحد⁽¹⁾ .

(1) صفوة التفاسير (121)

المبحث الرابع: أحاديث عن السورة الكريمة

لقد تحدث عنها رسولنا العظيم في كثير من أحاديثه ليبين لنا عظمة هذه السورة ومقدار جزاءها عند الله لكل من يقرأها في جميع أوقاته ومن هذه الأحاديث:

قال رسول الله ﷺ: (من قرأ قل هو الله أحد عشر مرة في يوم، كتب الله له بهيمة أو نعلة). ومن قرأها عشرين مرة كتب الله له قصرين في الجنة، (ومن قرأها ثلاثين مرة كتب الله له ثلاث قصور في الجنة). فقال عمر بن الخطاب: انكسر قصورنا فقال رسول الله ﷺ: (من قرأ قل هو الله أحد في يوم مائتين مرة كتب الله له ألف وخمسمائة حسنة إلا أن يكون عليه دين).

وقال رسول الله ﷺ: (من قرأ قل هو الله أحد حين يدخل منزله نفث الفقر عن أهل ذلك المنزل والجيران).

قال رسول الله ﷺ: (ثلاثة من جاء بهم مع الإيمان دخل من أي أبواب الجنة شاء وزوج بحور عين حيث شاء: من عفا عن قاتله، وأدى دين خفي، وقرأ في دُبر كل صلاة مكتوبة عشر مرات قل هو الله أحد).

وقال رسول الله ﷺ: (صلى الله عليه وسلم) من قرأ قل هو الله أحد مائتي مرة حط الله عنه ذنوب مائتي سنة.

وقال رسول الله ﷺ: (من قرأ قل هو الله أحد في يوم خمسين مرة غفر الله له ذنوب خمسين عام).

وقال رسول الله ﷺ: لا إله إلا الله واحد أحد، صمد، لم يتخذ صاحبة ولا ولد ولم يكن له كفواً أحد عشر مرات كتب الله له أربعين ألف ألف حسنة.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): احشدوا فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن فحشد من حشد ثم خرج النبي (صلى الله عليه وسلم) فقرأ "قل هو الله أحد" ثم دخل فقال الصحابة قال رسول الله إني سأقرأ عليكم ثلث القرآن (1).

إني لأرى هذا خبرا جاء من السماء ثم خرج نبي الله (صلى الله عليه وسلم) فقال سأقرأ عليكم ثلث القرآن ألا وأنها تعادل ثلث القرآن) إن النبي (صلى الله عليه وسلم) بعث رجلا على سارية وكان يقرأ في صلاتهم فيختم بقول "قل هو الله أحد" فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي. فقال (صلى الله عليه وسلم): سلوه لأي شيء يضع ذلك فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأها فقال النبي عليه الصلاة والسلام: أخبروه أن الله تعالى يحبه.

وعن ابن أبي ذئب عن أسيد عن معاذ بن عبد الله بن حبيب عن أبيه قال: أصابنا العطش وظلمه فانتفروا رسول الله عليه الصلاة والسلام يصلي بنا، فأخذ بيدي فقال: (قل) فسكت فقال: قل "قلت ما أقول؟ قال "قل هو الله أحد" و... المعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاثاً تكفيك كل يوم مرتين) قال الترمذي: وبهذا الإسناد عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: من أراد أن ينام على فراشه فنام على يمينه ثم قرأ "قل هو الله أحد" مئة مرة فإذا كان يوم القيامة يقول له الرب عز وجل يا عبد أدخل على يمينك الجنة (2).

وعن عبد الله بن بردة عن أبيه أنه دخل مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) المسجد فإذا رجل يصلي يدعوا يقول: "اللهم إني أسألك بأنني أشهد أن لا إله إلا الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد" قال: "و الذي نفسي بيده لقد سأله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعا به أجاب .

وعن أنس بن مالك يقول كنا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بتبوك فطلعت الشمس بضياء وشعاع ونور لم نرها طلعت فيما مضى بمثله فأتى جبريل إلى

(1) تفسير القرآن العظيم 575

(2) المرجع السابق نفسه: ص 576.

النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: يا جبريل مالي أرى الشمس طلعت اليوم بضياء وشعاع و نور لم أرها طلعت فيما مضى قال إن ذلك معاوية بن معاوية الليثي مات في المدينة اليوم فبعث الله إليه سبعين ألف ملك يصلون عليه قال: وفيه ذلك؟ قال: كان لكثرة قراءة قل هو الله أحد في الليل والنهار وفي ممشاه وقيامه وقعوده فهل لك يا رسول الله أن أقبض لك الأرض فتصلي عليه قال نعم فصلّى عليه⁽¹⁾ .

(1) تفسير القرآن العظيم ص 576.

المبحث الخامس: سر الإعجاز في السورة

المطلب الأول: من حيث الألفاظ والمعاني ودلائل الإعجاز القرآني

نلاحظ في هذه السورة الكريمة: اختيار أرقى الكلمات، لكي يتم التعبير عن أغلب المعاني، في حلة رائعة من التركيب..

فالألفاظ - كما نرى - سلسة وسهلة المخارج ومعدودة المعاني: - واضحة وبيّنة و قريبة للفهم على أسرع وجه، وهي واسعة مترامية الأطراف، قلة الألفاظ التي عبرت عن المعاني.

وجاءت هذه الألفاظ بما تحمله من معاني بأسلوب جميل، يظهر من خلاله بحق الإعجاز الرباني لهذه السورة الكريمة فجاء الترتيب لآيات السورة بأبهى صورة.

فترى التناسق والتكامل والوحدانية في صفات الله عز وجل فقد جاءت هذه الآيات لتبين غرض عظيم لا ينتهي في بيان و تثبيت لصفات ذو الجلال و الكمال، وتنزيه للرب بأسمى صور التنزيه عن النقائص وأن الله تعالى يتصف⁽¹⁾ بصفات أربع لا يتصف بها أحد غيره وهو أنه أحد ولا يلد ولا يولد ولا يوجد له كفوا أحد.

إننا نجد وجوه الإعجاز في كل القرآن يتحقق بعضها في هذه الآية وبعضها لا يتحقق في هذه الآيات .

والذي يتحقق في هذه الآيات: -

(1) نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم: ص 107 [بتصرف].

1. إخبار بصفات الله تعالى، فالله تعالى يبين فيها بعض صفات التي لا توجد إلا به .
2. نجد فيها أسلوب نقض لعادات العرب فهي لا شعر ولا نثر فهي معجزة مستقلة .
3. تجد تأثيرها العظيم في النفس.
4. تجد كل آية تمثل صفة من صفات الله تعالى .
5. تجد أنها احتوت على علوم القرآن الثلاثة أحكام، توحيد، قصص .
6. تجد أنها احتوت على البلاغة كأي سورة صغيرة وكبيرة.
7. تجد أنها تخاطب الناس جميعاً في كل زمان ومكان .
8. تجد في تلاوتها تعظيماً ومتعة وحلاوة لا تعادلها حلاوة⁽¹⁾ .
9. تجد فيها موسيقى قرآنية رائعة في نهاية كل آية فيها حرف الدال .
10. تجد صورتها وإبداعها في توضيح الصورة .
11. تجد قوة وأصالة الطابع الرباني فيها وكبرياء الربوبية والجلالة .

المطلب الثاني: البلاغة

تضمنت السورة الكريمة و جوهاً من البديع والبيان نوجزها فيما يأتي:

1. ذكر الاسم الجليل بضمير الشأن (قل هو) للتعظيم والتفخيم.
2. تعريف الطرفين "الله الصمد" لإفادته التخصيص .

(1) المرجع السابق نفسه: ص 108 [بتصرف].

3. الجناس الناقص لم يلد لم يولد لتغيير الشكل .

4. التجريد بأن قول الله " قل هو الله أحد " يقتضي نفي الكفاء والولد، وقوله " ولم يكن له كفوا أحد " هو تخصيص الشيء بالذكر بعد دخوله في العموم وذلك لزيادة في الإيضاح والبيان ⁽¹⁾ .

5. السجع المرصع وهو من المحسنات البديعية " قل هو الله أحد الله الصمد "

6. تنكير أحد وتعريف الصمد

(أ) الحكمة من تنكير أحد " أنه مسبوقه بكلمتين هما " هو الله " وهم مبتدأ وخبر وكون المبتدأ والخبر معرفة دلّ على الحصر.

واستغنى بتعريفهما ودلالتهما على الحصر عن تعريف أحد فجاء أحد " نكرة على أصله لأن الأصل في الكلمة هو التنكير.

(ب) وحكمة أخرى هي أنه جاء نكرة للتعظيم والتفخيم والتكريم وللإشارة أن الله سبحانه وتعالى لا يمكن تعريفه ولا الإحاطة به.

(ج) والتعريف يأتي لإزالة اللبس، وهنا لا يوجد لبس، فمقام الأولوية واضح، ولذلك استغنى عنه.

والحكمة من تعريف الصمد .

1- لأنه خبر، فقوله (الله الصمد) مبتدأ وخبر، وجاء المعرفتين ليطابقا المعرفتين في الآية الأولى: (هو الله).

2- وتعريف (الله الصمد) يدل على الحصر أيضاً، فالصمدانية ⁽²⁾ محصورة بالله.

(1) صفوة التفاسير 121

(2) نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم: ص 99.

3- وعرفها لإزالة اللبس، فلا تطلب إلا من الله ولا ترجو أحداً سواه، فهذا نهى عن طلب غير الله عز وجل.

فتنكير فاصلة الآية الأولى (أحد) وتعريف فاصلة الآية الثانية (الصمد) جمال بياني وبديع بلاغي⁽¹⁾

المطلب الثالث: من حيث أثرها في واقعنا المعاصر المعاش:

إن في هذه السورة الكريمة رغم قصرها جمعت علوم القرآن كافة وصفات الله تعالى، وحدانيته وعدم مماثلته وإذا طبقت نظرياً وحسياً ومعنوياً ساد الإيمان جيلاً بعد جيل؛ فبهذه السورة تطمئن القلوب وتهدا النفوس وترتفع درجات الإسلام فتصبح أمة موحدة لله مخلصه في عملها لوجهه تعالى وبناءً عليه: يأتي النصر بإذنه تعالى وستعيد الأمة مجدها المسلوب..

وآخر دعوانا أُوّ الحمد لله رب العالمين



(1) المرجع السابق نفسه.

الفصل التاسع

منهج للكتاب كنهاية للمطاف

- وقفات فنية وبيانية مع سورة العصر..
- وقفة لغوية مع معنى الكوثر.. من معين إعجاز القرآن البياني..

وقفات فنية وبيانية مع سورة العصر(*)

الحمد لله الذي شرف وكرم هذه الأمة بإنزال القرآن عليها، هدى ونوراً ورحمة للبشر أجمعين.. والصلاة والسلام على أفصح الناس منطقاً، وأشرفهم لساناً، وأثبتهم جناناً، سيدنا وحيينا محمداً، وعلى آله وصحبه أجمعين. ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً مزيداً..

أما بعد:-

فجميعنا يعلم بأن القرآن الكريم هو معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم الخالدة، وأنه كتاب الهداية والنور للبشر أجمعين، فهو بذلك كنز المعارف ونور العقول، ولكل سورة منه روحها الجاذب ووقعها المؤثر، مما يجذب العقل ويستولي على القلب ويأسر المشاعر، ولذلك فعلى الدعاة أن يستمدوا من نبعه الهدايات ويقتبسوا من نوره مشاعل الحضارات.

ومهما قرأنا وكتبنا عن إعجاز القرآن فسوف يبقى في النفس إحساس ينطلق بسر لم تكشف عنه هذه القراءات والكتابات، وإن السر في إعجاز القرآن: هو في عجزنا أن ندرك ذلك السر، فسبحان منزل القرآن.

وفيما يلي نعيش في ظل كلام الرحمن- بتأمل واستنشاق- مع سورة العصر، ونجملها بثلاث وقفات:-

★ الوقفة الأولى مع الآية الأولى:

قال تعالى: ﴿ والعصر ﴾

(*) بقلم: أ. سامي محمد هشام حريز (ماجستير أصول الدين/ التفسير وعلم القرآن) الجامعة الأردنية.

بدأ الله تعالى هذه السورة الكريمة بالقسم، فالله تعالى يُقسم بالعصر، وقد ذكر العلماء أقوالاً في معنى العصر وهي⁽¹⁾

1. أنه الدهر.

2. أنه أحد طرفي النهار.

3. أنه أراد صلاة العصر.

4. أنه قسم بزمان الرسول صلى الله عليه وسلم.

وهذا من قبيل اختلاف التنوع، فالعصر: يرمز إلى مفردات ومعان شتى، فهو الدهر وهو اليوم أو الليلة أو آخر النهار إلى الشفق - أي احمرار الشمس - . وشاع استعماله مع وقت من أوقات الصلاة، بل سمي بها أو سميت به .. والعصر إذا وردت مع الصلاة فهي مؤنثة، وإن جاءت منفردة، أي بدون ذكر الصلاة فهي نذكر و تؤنث⁽²⁾.

وأساس معنى العصر: هو ضغط شيء حتى يتحلب. تقول: عصرت الثوب، وذلك عندما تضغط عليه ليخرج منه الماء⁽³⁾، ولهذا سمي الله السحب معصرات، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾⁽⁴⁾، وكأن هذه السحب المحملة بالماء تعصر عصراً، ويضغط عليها، فيخرج الماء منها، وينزل ثجاجاً مصبوباً، وإذا كان عصر الشيء هو الضغط عليه لإخراج ما فيه،

(1) أورد هذه الأقوال مع أدلتها: الإمام الرازي في تفسيره الكبير ص 277-279. اقتصر

هنا على ذكر الأقوال فقط، نظراً لعدم اتساع المقام.

(2) بهجت الشихلي: بلاغة القرآن ص 699

(3) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة ص 782

(4) سورة النبأ: [14]

فإن زمان الناس وعمرهم عصر؛ لأنه يجب عليهم أن يعصروه عصرًا، ويضغطوا عليه ضغطًا، ليحسنوا الاستفادة منه، واستخراج منافعه وفوائده.
وعمر الفرد هو عصره الخاص به، الذي يجب عليه أن يعصره، ويحسن استغلاله ومعاشته.

★ الوقفة الثانية مع الآية الثانية:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾:

هذا جواب القسم . والإنسان: في معنى الجمع ؛ لأنه اسم "جنس" أو يراد به الناس .. ولهذا استثنى منه مستثنى جمع الآية الكريمة التالية ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، ولو كان الإنسان "واحداً هنا لم يجز الاستثناء منه .

وأصل "الإنسان": إنسيان، وهو لفظ يقع للذكر والأنثى من بني آدم، كما يقال: بعير، فيقع على الناقة والجمال⁽¹⁾ .

وتعريف "الإنسان" تعريف الجنس مراد به الاستغراق، وهو استغراق عرفي ؛ لأنه يستغرق أفراد النوع الإنساني الموجودين في زمن نزول الآية وهو زمن ظهور الإسلام .

ومخصوص بالناس الذين بلغتهم الدعوة في بلاد العالم على تفاوتهم، ولما استثنى منه ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ بقي حكمه متحققاً في غير المؤمنين .

(1) بلاغة القرآن، ص700.

والخُسْر: مصدر، وهو ضد الربح في التجارة، استعير هنا السوء وهي عاقبة الإنسان في آخرته من نعيم أو عذاب.

والظرفية في قوله: ﴿لَفِي خُسْرٍ﴾: مجازية، شُبِّهت ملازمة الخسر بإحاطة الظرف بالمظروف، فكانت أبلغ من أن يقال: إن الإنسان لخاسر.

ومجيء هذا الخبر على العموم مع تأكيده بالقسم وحرف التوكيد في جوابه، يفيد التهويل والإنذار بالحالة المحيطة بمعظم الناس .

وتنكير "خُسْر": يجوز أن يكون للتنويع، ويجوز أن يكون مفيداً للتعظيم والتعميم في مقام التهويل وفي سياق القسم.

والمعنى: إن الناس لفي خُسران عظيم وهم المشركون ⁽¹⁾.

" وذكر الإمام الرازي بالنسبة لقوله تعالى في سورة التين ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿﴾، فهناك ⁽²⁾ يدل على أن الابتداء من الكمال والانتهاء إلى النقصان، وهنا ⁽³⁾ يدل على أن الابتداء من النقصان والانتهاء إلى الكمال، فكيف وجه الجمع ؟ قلنا: المذكور في سورة التين أحوال البدن، وهنا أحوال النفس، فلا تعارض بين القولين ⁽⁴⁾ .

(1) ابن عاشور: التحرير و التثوير، ص530-ص532.

(2) أي في سورة التين .

(3) أي في سورة العصر.

(4) الرازي: التفسير الكبير، ص280.

★ الوقفة الثالثة مع الآية الثالثة:

قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ نلاحظ في هذه الآية بأنها ذكرت أربع صفات للراغبين الفائزين، والذين أحسنوا عصرَ أعمارهم وأوقاتهم، وهي صفات مقصودة، وترتيبها في السورة مقصود أيضاً.

فبدأت بالإيمان؛ لأنه الأساس المحرك للدافع، الباعث على عصر العمر، وهو الزاد الذي يُزَوَّدُ المؤمن بما يحتاجه لعصر العمر، والسير في الطريق، كما أنه هو الشرط لقبول الأعمال الصالحة عند الله، ثم ذكر بعد الإيمان: عمل الصالحات؛ لأنها ثمرة له. ثم ذكر الصفة الثالثة: وهي أنهم يتواصون بالحق، والحق: هو الإسلام المتمثل في القرآن والسنة وفهم سلف الأمة، والتواصي بالحق لا يكون إلا بعد العلم بالحق، وعرفه أنه حق، وبعد ذلك جاء بالصفة الرابعة: وهي تواصيهم بالصبر، وهذه خطوة مبنية على ما قبلها، فبعد العلم بالحق وممارسته وتذكره والتواصي به، يأتي التواصي بالصبر عليه، وهذا التواصي: هو عبارة عن تعاهد بين المؤمنين بالالتزام بالحق والثبات عليه، والصبر على تكاليفه ومشقاته.

وقد اشتمل قوله تعالى ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾: على إقامة المصالح الدينية كلها، فالعقائد الإسلامية والأخلاق الدينية مندرجة في الحق، والأعمال الصالحة وتجنب السيئات مندرجة في الصبر⁽¹⁾.

ويذكر الإمام القرطبي: بأن قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ استثناء من الإنسان، إذ هو بمعنى الناس على الصحيح. وقوله تعالى: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾: أي أدوا الفرائض المفترضة عليهم، وهم أصحاب رسول الله

(1) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ص 532-533.

(صلى الله عليه وسلم)، قال أبي بن كعب: قرأت على رسول الله "والعصر"، ثم قلت: ما تفسيرها يا نبي الله؟ قال: "والعصر: قسم من الله، أقسم بكم بآخر النهار. إن الإنسان لفي خسر: أبو جهل. إلا الذين آمنوا: أبو بكر. وعملوا الصالحات: عمر. وتواصوا بالحق: عثمان. وتواصوا بالصبر: علي. رضي الله عنهم أجمعين.

وهكذا خطب ابن عباس على المنبر موقوفاً عليه⁽¹⁾.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وقفه لغوية مع معنى الكوثر..

من معين إعجاز القرآن الكريم^(*)

﴿الْكَوْثَرُ إِنَّا أَنْعَمْنَا عَلَيْكَ﴾ قال الله تعالى:

الكوثر في اللغة: هو من الكثرة، وهو المفرط في الكثرة. قيل لأعرابية رجع ابنها من السفر: بم أب ابنك؟ قالت: أب ابني بكوثر، أي: بالعدد الكثير. وهو كجوهر (الكثير من كل شيء)، والكوثر: الرجل الخير المعطاء، كثير العطاء والخير وهو السخي الجيد. قال الكمي:

وانت كثير يا ابن مروان طيب

وكان أبوك ابن العقائل

كوثرا

و يقال للغبار إذا سطع وكثر: كوثر⁽¹⁾.

(1) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ص 123

(*) أ. سامي محمد هشام حريز. (ماجستير أصول الدين / التفسير وعلوم القرآن)، الجامعة الأردنية.

وأما معنى (الكوثر) في هذه الآية: فهو خاص بالنبي (صلى الله عليه وسلم) وقد ذكر له المفسرون ستة عشر قولاً أو أكثر، ولا يسع المقام في ذكرها هنا .
والموقف الصحيح للاهتمام إلى مدلول هذا اللفظ القرآني أن نرجع إلى :
- استعمال اللفظ في أصل اللغة .

- وإلى المأثور عن النبي (صلى الله عليه وسلم).
وبالنسبة لاستعمال اللغة: فهو -كما فهمنا- مشتق من الكثرة، فهو دال على الكثرة المبالغ فيها.

وبالنسبة للمأثور دلّ على أن معنى " الكوثر: نهر في الجنة . حيث أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: أتدرون ما الكوثر؟ انه نهر وعدنيه ربي - عز وجل - في الجنة عليه خير كثير⁽²⁾

فلم يبينه الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالنهر فقط، بل نهر عليه خير كثير، فيكون المعنى: أعطيناك الخير الكثير، الزائد في الكثرة على العادة، ومن هذا الخير ما ادخرناه لك في الجنة، وهو نهر الكوثر .

فالتفسير المأثور و اللغة: تطابقا على أن المعنى: الخير الكثير. وهذا الفهم سبقنا إليه الصحابي ابن عباس - رضي الله عنهما - فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال في الكوثر: "وهو الخير الذي أعطاه الله إياه. قال أبو بشر: قلت

(1) السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، مجلد (3)، حرف

الراء، فصل الكاف من باب الراء.. (كثر) .. (الكوثر)، ص 517

(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب: (الصلاة)، باب: حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة، (53 / 400)

لسعيد بن جبير: فان الناس يزعمون انه نهر في الجنة، فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه⁽¹⁾

و إذا أراد أحد أن يتبع هذا الكوثر الذي أعطاه الله لنبيه فهو واجده حيثما نظر أو تصور، فمن ذلك :

1. فضل الله عليه بالنبوة والرسالة .
2. فضل الله عليه إظهار الإسلام.
3. فضل الله بالقرآن الذي أنزل عليه .
4. فضل الله عليه بما جصل على يديه من المعجزات.
5. فضل الله عليه بإجابته لدعوته.
6. نور القلب والحكمة التي آتاه الله إياها .
7. أولاده من أمته إلى يوم القيامة .
8. بقاء ذكره في الملأ الأعلى، الذي يصلي عليه، ويصلي على من يصلي عليه في الأرض؛ حيث يقترن اسمه باسم الله تعالى في الأرض والسماء .
9. سته الممتدة على مدار القرون في أرجاء الأرض.
10. وجوب شرعه؛ فدينه فريضة لا يخرج عنها خاسر، وشرعه هو الصراط المستقيم، من تركه فإن له معيشة ضنكاً في الدنيا ويحشر يوم القيامة أعمى.
11. وما سوف يعطيه الله إياه في الآخرة - بما هو فوق علمنا - من المقام المحمود والشفاعة والوسيلة ..
12. ومن جملة الكوثر: ما اختصه الله -تعالى- به من النهر في الجنة، الذي طيبته المسك، وآتيته عدد النجوم . وهذا النهر هو كوثر من الكوثر .

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب: التفسير، (4966)

إنه الكوثر الذي لا نهاية لفيضه ولا حدّ لدلوله، ممتد من الدنيا للآخرة .
فسبحان من اختار هذا اللفظ القرآني المعجز في هذا الموضع الوحيد في القرآن
العظيم.

الخاتمة:

الحمد لله الذي منّ عليّ بإتمام هذا الكتاب، حمداً كثيراً طيباً والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبعد:-

فإننا بعد هذه الدراسة المتواضعة للإعجاز البياني في القرآن، بفصوله التسعة - نقف لنقرر هذه الحقائق اليقينية الصادقة حول الإعجاز البياني بخاصة والإعجاز بكافة وجوهه بعامة:

إن القرآن الكريم معجز، وإن إعجازه لكل المخلوقين على اختلاف الزمان والمكان، وإن هذا الإعجاز مستمر حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وإن هذا الإعجاز متجدد بحيث:-

- يجد فيه اللاحقون ألواناً ووجوهاً وإضافات ونماذج وأمثلة جديدة، وإن التقدم في العلم والاكتشاف والاختراع والمعرفة يزيد القرآن إعجازاً، ويزيد المؤمن يقيناً بالمصدر الرباني للقرآن الكريم.

أيضاً نجد أن مجال الإعجاز البياني واسع وممتع يستحق منا الدراسة والقراءة المتأنية والممحصنة له، أيضاً بعد دراستي: وجدت أن هذا القرآن الكريم كنز لا يفنى ونبع لا ينضب، فعلومه، وإعجازه ودلائله باقية ولن تزول إلى يوم القيامة.

- وقد ازداد يقيني يقيناً وإيماني إيماناً، فإن الإسلام هو الدين القويم وأن القرآن هي المعجزة الخالدة وأن هذا القرآن هو الدستور الذي يجب على الأمة الإسلامية التمسك به والرجوع إليه كي يتحقق لها العز والنصر إن شاء الله.

فالآن:-

أقف لأُقرّ الحقائق اليقينية الصادقة التي زاد يقيني وإقراي بها، بعد ما كتبت،
ومن هذه الحقائق اليقينية:

1. أن القرآن كلام الله تعالى المعجز الذي نزل على نبيه وعبدته محمد صلى الله عليه وسلم لتكون معجزة لهذا النبي الأمي إلى قيام الساعة.

2. ازداد حيي وتعلقي بهذا القرآن العظيم الذي فيه كل كلمة وكل حرف وما أقل من ذلك وما أكثر له معنى وروثق وله هدف وسبب وحكمة فعندما نقرأ القرآن الكريم، تذهب عنا كل الهموم وكل الشرور وتصبح صدورنا مليئة بالتفاؤل والأمل واليقين، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

3. إن هذا القرآن خالٍ من أي حشو وإطناب، وإن الذين يدعون الحشو فيه إنما هم أغبياء وحاقدون ومفرطون وإن الرد عليهم يكون بالحجة والدليل العقلي المنطقي.

4. إن هذا القرآن كما هو خالٍ من الحشو فهو خالٍ من أي زيادة حرف فيه، وكل حرف في هذا القرآن الكريم له معنى ولا يتم السياق بدون هذا الحرف وهذا يدلنا على إعجاز هذا القرآن المعجز.

5. إن العلماء الذين اهتموا بالإعجاز قداماء كانوا أم معاصرين كان لهم جهود مشكورة ولفترات طيبة وشذرات جيدة في إرساء قواعد هذا العلم وتبشيد بنيانه وتوطيد أركانه ووقفات محمودة في وجه المغرضين والحاقدون.

6. إن الأمة الإسلامية ما زالت قوية ومتماسكة ورجالها فيهم الخير والفكر الصحيح الذي انبثق عنه العديد من الدراسات والأبحاث والكتب الإسلامية التي يستفيد منها الناس في كل زمان ومكان وفي كل المجالات والاختصاص.

7. إن الذين يدخلون في الإسلام كثيرون ومتعددون وهذا إن دلّ فإنه يدلّ على صحة وصدق هذا الدين الحنيف وأن القرآن لا مجال للجدال فيه لأنه كلام الله تعالى جل جلاله.

فلهذا نرى الكثير من العلماء دخلوا في الإسلام عندما سمعوا آية قرآنية واحدة، هزّت وجدانهم فشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيجب علينا كمسلمين أن نحمد الله تعالى الكريم على نعمة الإسلام القويم.

وطلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

خاتمة الدراسة التحليلية:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:-

فبنعمة من الله وفضل كبير تم الانتهاء من بحثي هذا وقبل الختام أود أن أبين بعض النتائج تم التوصل إليها:

1. إن القرآن الكريم معجزة خالدة إلى أبد العصور لا يستطيع الإتيان بمثلها، فيه العظمة والخشوع بقوله تعالى:

﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ لرأيتَه خاشعاً متصدعاً من خشية الله ﴾
صدق الله العظيم.

2. بهذا القرآن تصدق نبوة رسولنا الكريم وعدم تكذيبه.

3. وبينت لنا (سورة الإخلاص) عظمة الله وعدم التفكير بالشرك به؛ لأنه جَلَّاء ولا نزيه عن كل ما نسب إليه من ولدٍ ووالد وصاحبة.

- تَقَرَّ بِحُجُوجِ اللَّهِ -

المراجع

1. الإمام ابن كثير: تفسير القرآن العظيم.
2. أبو بكر جابر الجزائري هذا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم يا محب. دار البيان الحديثة: ط 1 هـ - 2002م
3. سامي "محمد هشام" حريز: نظرات من الإعجاز البياني في القرآن الكريم. دار الشروق: عمان. ط 1، 2006م.
4. سيد قطب في ظلال القرآن. دار الشروق للطباعة، ط 12، 1406هـ. 1986م.
5. محمد علي الصابوني: صفوة التفسير. دار القرآن الكريم ط 1، 1401هـ - 1981م.
6. د. صلاح الخالدي: البيان في إعجاز القرآن، دار عمار عمان، ط 3، 1992م
7. د. فاضل السامرائي: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني. دار عمار: عمان، ط 1، 2002م.
8. محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير. دار الصابوني: القاهرة، ط 1، 1997م.
9. أ.د. فضل عباس وسناء فضل عباس: إعجاز القرآن الكريم. دار الفرقان: عمان. ط 1، 1991م.
10. أ.د. فضل عباس: لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن، دار النور: بيروت. ط 1، 1989م.
11. د. إبراهيم الكوفحي: خواطر الرافعي في تفسير القرآن وإعجازه.
12. شبكة المعلومات العالمية.

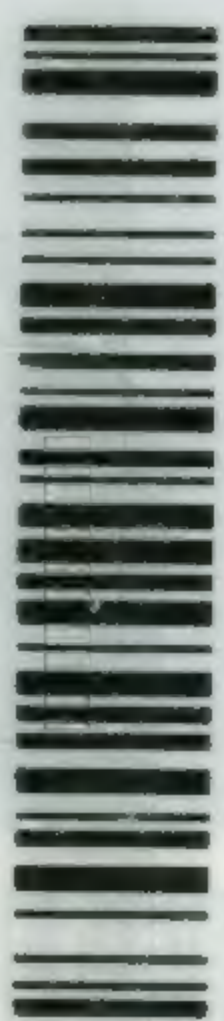
13. محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير . الدار التونسية للنشر (بدون تاريخ).
14. الإمام أحمد بن زكريا بن فارس: مقاييس اللغة . تحقيق: شهاب الدين أبو عمرو .. دار الفكر: بيروت. ط1، 1994م.
15. الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي: التفسير الكبير. إعداد: مكتب تحقيق التراث العربي: بيروت. ط2، 1417هـ-1997م.
16. بهجت عبد الواحد الشبخلي: بلاغة القرآن الكريم في الإعجاز، إعراباً وتفسيراً بإيجاز . مكتبة دنديس: عمان. الخليل . ط1، 1422هـ، 1997م.
17. القرطبي: الإمام محمد بن أحمد الأنصاري . دار الكتب العلمية: بيروت، ط1، 1420هـ-2000م.
18. د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ): الإعجاز البياني للقرآن ومساائل نافع بن الأزرق. دار المعرفة: مصر. ط1، (بدون تاريخ)
19. الإمام عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني. المكتبة العصرية: بيروت. ط1، 1421هـ-2000م.
20. مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية. دار الكتاب العربي: بيروت. ط9، 1393هـ، 1973م.
21. الإمام جار الله محمد بن عمر الزنجشيري: الكشف عن حقائق غوامض التزويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. دار الكتاب العربي. ط1، 1987م.

- نعم بحمد الله -



نفحات في العجاز القرآني الكريم البيان

Bibliotheca Alexandrina



1157985



9 789957 480189



دار غيداء للنشر والتوزيع

وسط البلد - شارع الملك حسين - مجمع الفحيص التجاري - الطابق الأرضي

تلفاكس: +962 6 4615510 - ص.ب. 520946 عمان 11152 الأردن

E-mail: info@darghaidaa.com

www.darghaidaa.com